


# المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

| الجزء الخامس | تونس - في ربيع الاول ١٣٥٨ - ماي ١٩٣٩ | المجلد الثالث |
|---|---|---|



رئيس قلم التحرير .

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢



ثمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧


٣ ٥ ١٥

# فهرس العدد

المجلد الثالث — الجزء الخامس



# الاشتراك


الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

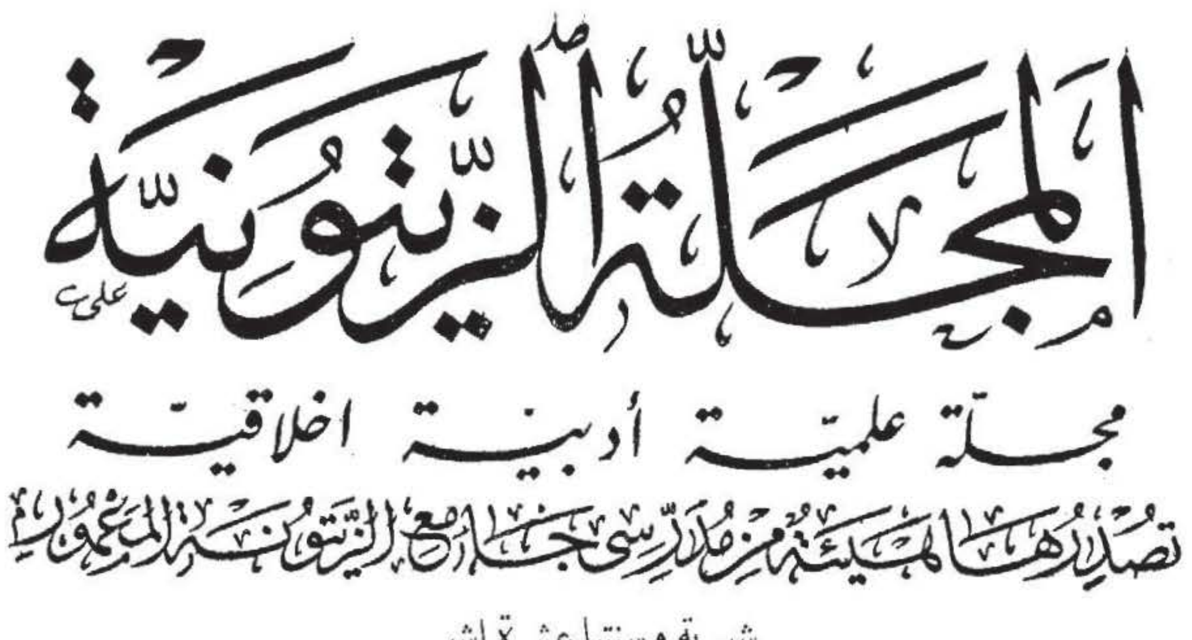
« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي بن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه




شهرية وسنتها عشرة اشهر

| الجزء الخامس | تونس - في ربيع الاول ١٣٥٨ - ماي ١٩٣٩ | المجلد الثالث |
|---|---|---|

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

المراسلات :

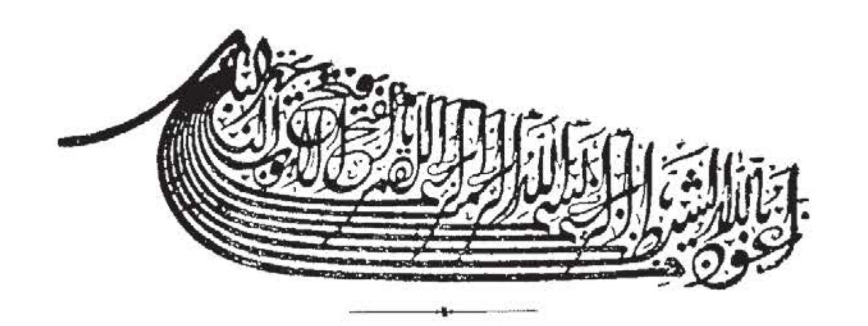
ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧



# لقد جاءكم رسول

## من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم

في مثل هذه الشهر المبارك منذ اربعة عشر قرنا ونيف سطع نور قدسي في افق الرحمة الربانية بين يدي هلال وضاء لا عهد للانسانية بنوره المبين . بيد أنه نور معنوي لا تدركه الابصار وطلع هلاله في سماء أشرف بقعة من بقاع الارض حيث الكعبة بيت الله الحرام . ونادى داعي البشارة في عالم الملكوت مخاطبا اهل السماوات والارض لقد جاءكم من الله نور الهداية ونبراس المعرفة والحجة الدامغة والمرشد المعين . هاهي ذا الاقدار تضع منار الحق في مفترق الطرق لهداية السالكين . هاهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف أرملة عبد الله بن عبد المطلب زعيم قريش وسيدهم . قد ولدت سيد العالمين . ذلك الذي ستدين لعظمته العروش . وتعنوا له الصوالج والتيجان . ويفك عن البشر اصرهم والاغلال التي كانت في أعناقهم . ويقيم للانسانية معقل النجاة

وارتفع صوت في الارجاء مناديا :

أي بني الانسان ما لقافلة البشر مخطئة الطريق عادمة الدليل سيطرت عليها الوثنية فأعدمتها الرشاد . ؟

ما لهذا الجهل السائد يقيد العقول بعقال من فولاذ . ويجعل الدهماء مستعبدين وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

ما لهذه الدولة البيزانطية يطغى جبابرتها ويستعلون اثما وعدوانا . ويقيدون العقول ويتحكمون في القلوب ويغفرون من دون الله ؟

ما لهؤلاء الاكاسرة يحكمون الشهوة . ويعيثون في الارض فسادا . لا يمنعهم قانون . ولا يكبح جماح نفوسهم المتمردة وازع ؟

ما لاولئك الهنود وهذا الوباء الاخلاقي الذي عصف بالفضيلة فنسفها نسفا . وهذه الاباحية الساحقة الخسيسة ؟

ما لاولئك الصينين يحكمون المادة فتقذف بهم في هاوية الضلال والعار ؟

---

الخطاب الذي القاه صاحب المجلة في الاحتفال الذي اقامته جمعية الشبان المسلمين بذكرى المولد الشريف

ما لاولئك الا فارقة وهذه البربرية التي طغت عليهم فأفقدتهم العز والسلطان والجاه ؟

ما لهؤلاء الاحباش وقد تشجعت نفوسهم واستأسدت فلم تقنع بالحيوان حتى مدوا أيديهم الضارية لبني الانسان

ما لابناء الفراعنة يعتلون في الارض ويطغون طغيانا عظيما ؟

ما لهذه الجزيرة العربية المباركة تفقد دينها القويم، الذي وصاها به ابراهيم، ومن خلف إبراهيم من النبيئين ؟

ما لاولئك الاوزاع والهمج من مختلف الشعوب تطغى عليهم الحيوانية، فلا يفهمون الحق، ولا تسموا لهم نفوس ؟ ربااه . رحمتك وسعت كل شيء فارحم اهل الارض وابعث في الناس رسولا يهديهم صرطك المستقيم. فقد ضلوا ضلالا عظيما يعلمهم الحكمة، ويروض نفوسهم على العدل والحق الذي ترضاه للخلق أجمعين لا جرم اذا اجاب الرحمن الرحيم صوت الانسانية المسترحم

( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم )

ذلك بعض ما كان عليه المجتمع الانساني ايها السادة

يئن من وجع امراضه الفتاكة، وتتصاعد من نفسه زفرات تتصاعد الى السماء بذالك الصدا المفزع، ويتوسد جثمانه المخاطر ويضطجع على اديم اشتعلت في ارجائه نيران الفتن المضنية ويرتدي بلحاف الخزي والعار فلا ايمان ولا عدل ولا حق ، ولا طهر ولا عفاف ، ولا أمن ولا سلام فكانت البشرية في أشد الحاجة الى رسول امين ، ومصلح عظيم ومجدد أقوم يأتي على فترة من الرسل لانقاذ العالم ،

رسول من انفسكم تعرفونه وتتحققون مكانته فيكم فلقد جرت سنة الله في المرسلين ان يكونوا في شرف من قومهم . وكذلك كان سيدنا محمد بن عبد الله في شرف من قومه بل من الناس كافة ، يتصل نسبه الشريف باعرق قبيلة في قبائل العرب وأزكى الناس سؤددا ومجدا ، كما نطق بذلك حديث الترمذي قال سول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فهو صلى الله عليه وسلم خيار من خيار من خيار من خيار من خيار، هيأ تعالى له شرف النسب حتى برز خلاصة كاملة، من أصول أمجاد، وعشيرة رجالها صناديد ءاساد وطهره من سفاح الجاهلية، وعوائدها المنكرة، فانحدر من اصلاب اطهار، وبرز نوره من ( آمنة ) في احسن تكوين بعد اقتران صحيح، وكذلك سلسلة النسب الشريف . فهذا ابن الكلبي النسابة الخبير، يكتب للنبيء صلى عليه وسلم خمسمائة ام فلا نجد فيها سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية غير النكاح .

وينشأ صلى الله عليه وسلم نشأة سؤدد وشرف يحتضنه العفاف، ويرتضع من لبان المروءة والصلاح ويؤدبه ربه تأديب ملك كريم، فيظهر عليه كل خلق عظيم، ويخلقه بأخلاق المرسلين، حتى يكون قدوة للناس أجمعين، ويتقبلوا منه رسالة ربه ويصدقوه تصديق الاكرمين .

ويؤهله لرعاية البشر كافة بما ميزه من العاطفة السامية فيعز عليه أن يرى الناس في شقاء اويقعوا في عنت . أو تصيبهم مشقة . أو ضيق . وتتطلع الانفس لسير هذه العظمة المكنون . فلا تهتدي لذلك . وانى لهم ان يعلموا انه الرسول الذي سيصدع بالحق . ويكشف عن ظلمة الاباطيل المخيمة على الانسانية . فلما كمل من عمره اربعون سنة بعثه الله بشيرا ونذيرا وانزل عليه القرآن الكريم . فخاطب به الناس كافة وأحاطهم بسياج الشريعة السمحة . التي تكلفت للبشر بالسعادة . وكشفت لهم عن الحق الذي لا مراء فيه . وجاءهم بالدين القويم . والتعاليم السامية . التي كتب الله لها الخلود على مر الايام والعصور

فقام بأعباء الرسالة أحسن قيام . وسمت تعاليم رسالته في أفق الحياة الاجتماعية . وسطع نور العقيدة نبراسا وضاء اهتدي به الى الصراط الحميد

فهو الرسول الذي علم العقيدة المثلى

وهو الذي علم البشر الحق كما هو حق وعلمهم قاعدة المساواة في الحقوق .

وهو الذي أعطى الرجل حقه والمرأة حقها

وهو الذي قعد أصول التشريع العامة

وهو الذي كون الدولة التي تحفظ للشعوب مصالحهم في الحياة وبعد الحياة وأسس قواعدها المحكمة الترصيع . وهو الذي حول أنظار العالم الى أنواع من الحياة لم يكن لهم بها عهد من قبل

وهو الذي كون من نفوس المسلمين مادة هي اكسير الحياة لمن يتطلب حياة السعادة وهو التضحية

هو الذي أقام من نفوس المسلمين التي كانت متمردة أقام منها هيكلا عظيما يتحرك بارادة رجل واحد . وجعل قلوبهم على قلب رجل واحد

وهو الذي صان الفرد من عادية الفرد . وصان العائلة من ظلم رئيسها . والامة من طغيان راعيها

وهو الذي جعل نظام الامة أساسه الشورى

وهو الذي سن النظم المالية حتى لا يكون المال دولة في أيدي الاغنياء

وهو الذي رمز للعلم والمعرفة والقيام بالواجب . وعلم المسلمين التضحية في سبيل الحق الاعلى

أيها المستمعون هذه طرف من تعاليم الرسول الكريم والسراج المنير . من كان بالمؤمنين رؤوفا رحيما . تضيء في نفوسكم أنوار رسالته وتبعث في اعضائكم النشاط للقيام بأعبائها

فهل أنتم مدركون ذلك القبس من النور ؟

نعم تلك هي الشعلة الوضاءة التي بقيت في نفوس المسلمين وهي المرهم الذي تحتاج اليه نفوسهم عساها ان تجد الطبيب المداوي

ربي ان نور الهداية يكاد يحتجب عن الابصار وها هو العالم يتمخض عن حوادث عظام . فاهد أمة رسولك الذي تحتفل بمولده في هذه الليلة العظمى هداية سرمدية حتى يسيروا على غرار من سبقهم من الصالحين انك نعم المجيب

محمد الشاذلي ابن القاضي



خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ

من تفسير العلامة الهمام فضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

( ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ) هذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق في قوله تعلى سواء عليهم آنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وبيان لسببه في الواقع ليدفع بذلك تعجب المتعجبين من استواء الانذار وعدمه عندهم ومن عدم نفود الايمان الى نفوسهم مع وضوح دلائله فاذا علموا ان على قلوبهم ختما وعلى اسماعهم وان على ابصارهم غشاوة علموا سبب ذلك كله وبطل العجب . ولكون هذه الجملة واقعة موقع التعليل قطعت ولم تعطف ، والختم السد على الاناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم وقد كانت العرب تختم على قوارير الخمر ليصلحها انحباس الهواء عنها وتسلم من الاقذار في مدة تعتيقها . واما تسمية البلوغ لآخر الشيء ختما فلان ذلك الموضع او ذلك الوقت هو ظرف وضع الختم فسمى به مجازا وليس الختم على القلوب والاسماع ولا الغشاوة على الابصار هنا حقيقة كما توهمه بعض ظاهرية المفسرين فيما نقله ابن عطية بل ذلك جار على طريقة المجاز بان جعل قلوبهم في عدم نفوذ الايمان والحق والارشاد اليها وجعل اسماعهم في استكاكها عن سماع الآيات والنذر وجعل اعينهم في عدم الانتفاع بما ترى من المعجزات والدلائل الكونية كأنها مختوم عليها ومغشى دونها على طريقة الاستعارة بتشبيه عدم وصول النفع الى العقول والاسماع بالختم وتشبيه عدم وصول التأمل الى الابصار بالغشاوة وكلتاهما استعارة تحقيقية الا أن المشبه محقق عقلا لا حسا وليس ذلك باستعارة تمثيلية اذ ليست للقلوب والاسماع والابصار في هذه الحالة هيئة مشاهدة حتى تشبه بهيئة اخرى وقد قررها الكشاف ومتابعوه بما فيه بعد وتكلف ينبو عنه الذوق فلا اطيل بتقريره وتزييفه

وانما افرد السمع لانه اريد منه المصدر الدال على الجنس اذ لا يطلق على الآذان سمع الا ترى انه جمع لما ذكر الآذان في قوله يجعلون اصابعهم في ءاذانهم وقوله وفي ءاذاننا وقر فلما عبر بالسمع افرد لانه مصدر بخلاف القلوب والابصار فان القلوب متعددة والابصار جمع بصر الذي هو اسم لا مصدر ويمكن تقدير محذوف اي وعلى حواس سمعهم أو جوارح سمعهم. وقد لاح لي انه قد تكون في إفراد السمع لطيفة روعيت من جملة بلاغة القرءان وهي ان القلوب كانت متفاوتة واشغالها بالفكر في حال الايمان والدين مختلفا باختلاف وضوح الادلة والكثرة والقلة وتلقي انواع كثيرة من الايات فلكل عقل حظه من الادراك . وكانت الابصار ايضا متفاوتة التعلق بالمرءيات التي فيها دلائل الوحدانية في الافاق وفي انفسهم والتي فيها دلالة المعجزات والعبر والمواعظ فلكل بصر حظه من الالتفات الى الآيات فلما اختلفت انواع ما تتعلقان به جمعتا واما الاسماع فانما كانت تتعلق بسماع ما يلقى اليها من الدعوة فلما أتحد تعلقها بالمسموعات جعلت سمعا واحدا ، وجملة وعلى سمعهم معطوفة على قوله على قلوبهم باعادة العامل لزيادة التاكيد حتى يكون المعطوف مقصودا لان على مؤذنة بالمتعلق فكأن ختم كرر مرتين على ما جزم به في الكشاف وفيه ملاحظة كون الاسماع مقصودة بالختم اذ ليس العطف كالتصريح بالعامل. وليس قوله وعلى سمعهم خبرا مقدما لغشاوة لان الاسماع لا تناسبها الغشاوة وانما يناسبها السد الا ترى الى قوله تعلى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وفي ءاذانهم وقر ويجعلون اصابعهم في ءاذانهم . وتقول العرب استك سمعه ولان تقديم قوله وعلى ابصارهم على قوله غشاوة دليل على انه هو الخبر لان التقديم لتصحيح الابتداء بالنكرة فلو كان قوله وعلى سمعهم هو الخبر لاستغني بتقديم احدهما وابقي الاخر على الاصل من التاخير فقيل وعلى سمعهم غشاوة وعلى ابصارهم وفي تقديم السمع على البصر في مواقعه من القرءان دليل على انه افضل فائدة لصاحبه من البصر كما بينه الفخر رحمه الله

( ولهم عذاب عظيم ) العذاب الالم وقد قيل ان اصله الاعذاب مصدر اعذب اذا أزال العذوبة لان العذاب يزيل حلاوة العيش فصيغ منه اسم مصدر بحذف الهمزة وهو اسم موضوع للالم بدون ملاحظة اشتقاق من العذوبة اذ ليس يلزم مصير الكلمة الى نظيرتها في الحروف ووصفه العذاب بالعظيم دليل على ان تنكيره ليس للتعظيم بل لمجرد النوعية والقصد من الوصف الدلالة على تعظيمه صراحة لان التنكير وان كان صالحا للدلالة على التعظيم لكنه ليس نصا في تلك الدلالة

( ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ) الواو لعطف طائفة من الجمل على طائفة مسوق كل منهما لغرض للمناسبة باين الغرضين فلا يتطلب في مثله الا المناسبة بين الغرضين لا لمناسبة بين كل جملة واخرى من كلا الغرضين قاله التفتزاني في شرح الكشاف ونقله السيد ونوه به فقال انه اصل عظيم في باب العطف لم يتنبه له كثيرون فاشكل عليهم الامر في مواضع

شتى واصله ماخوذ من قول الكشاف « وقصة المنافقين عن ءاخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملــة على الجملة » فافاد بالتشبيه ان ذلك ليس من عطف الجملة قــال المحقق عبد الحكيم وهذا مما اهماه السكاكي وتفرد به صاحب الكشاف . وانا اقول ان الآيات السابقة لما انتقل فيها من الثناء على القرءان بذكر المهتدين به بنوعيهم الذين يؤمنون بما انزل اليك الى ءاخر مــا تقــدم وانتقل من الثناء عليهم الى ذكر اضدادهم وهم الكافرون الذين اريد بهم الذين اشركــوا بالصراحة كان السامع قد ظن ان الــذين اظهروا الايمان قد دخلوا في قــوله الذين يؤمنون بالغيب فلم يكــن سائلا عن قسم ءاخر فهم الذين اظهروا الايمان وابطنوا الشرك او غيره المعبر عنهم بالمنــافقين الــذين هم المراد من الناس هنا بدليل قوله في عطف احوالهم واذا لقــوا الذين ءامنوا قــالوا ءامنا الآية لان هــذا القسم لغرابة امــره لا يخطر بالبال وجــوده فناسب ان يذكر امره للسامعين ولــذلك جــاء بهــذا الجملة معطوفة بالواو اذ ليست الجملة المتقدمة بمقتضية لهــا بخــلاف جملة ان الــذين كفروا سواء عليهم اذ ترك عطفهــا على مــا قبلها لان ذكر مضمــونها بعد مضمون التي قبلهــا كان مترقبا فكان السامع كالسائل عنه فجاء الفصل للاستيناف البياني . وقوله من النــاس خبر مقدم لا محالة وقد يتراءى ان الاخبــار بمثله قليل الجدوى لانــه اذا كان المبتدا دالا على ذات او معنى لا يكــون الا من احــوال الناس يكون الاخبار عن المبتدا بانه من النــاس او في الناس غير مجد بخلاف قولك الخضر من الناس اي لا من الملائكة فان الفائدة ظاهرة لانه قد يظن انه من الملائكة فبنا ان نوجه الاخبار بقولهم من الناس في نحو الآية ونحو قول أحد اصحابنا الاعزة يذكر خطة القضاء

في النــاس من القى قلادتهــا الى خلف فحرم مــا ابتغى واباحــا

ان القصد الى اخفاء المخبر عنه كما تقول قال هذا رجل وذلك عند مــا يكون الحديث يكسب ذما او نقصا ولذلك التزم تقديمه في مثل هــذا التركيب لان في تقديمه تنبيهــا للسامع على عجيب مــا سيذكر ولو اخر لكان موقعه زائدا لحصول العلم بان ما ذكره المتكلم لا يقــع الا من انسان . وقــد قيل ان موقع من الناس مؤذن بالتعجيب وان اصل الخبر افاد ان فاعل هذا الفعل من الناس لئــلا يظنه المخاطب من غير الناس لشناعة الفعل وهذا بعيد عن المقصود لانه لو كان كما قال لم يكن لتقديم الخبر فائدة بل كان تأخيره اولى ليتقرر الامر الذي يوهم ان مدلول المبتدا ليس من الناس فهذا توجيه هذا الاستعمال . وذلك حيث لايكون لظاهر الاخبار بكون المتحدث عنه من افراد الناس كبير فائدة فان كان المقصود افادة ذلك حيث يجهله المخاطب كقولك من رجــال بعض القبائل من يبرقــع وجهه او حيث ينزل المخاطب منزلة الجاهل كقول عبد الله بن الزبير ( بفتح الزاي )

وفى الناس ان رثت حبالك واصل وفي الارض عن دار القلى متحول

اذا كان حال المخاطب حال من يظن ان المتكلم لا يجد من يصله ان قطعه هو وكقول دريد بن الصمة

وما انــا الا من غزية ان غــوت غويت وان ترشد غـزية ارشــد

اذ كان حال المخاطب حال من يظنه من قوم غير قومه

فلذلك طلب منه مخالفة حالهم فذكر من الناس ونحوه في مثل هذا وارد على اصــل الاخبــار هذا ما لاح لي في نكتة هذا الاستعمال وارجو ان يكون من مواهب الكبير المتعــال وللكاتبين على الكشاف وتفسير البيضاوي وجوه في بيان فائدة مثل هذا التركيب تنكبوا فيها عن الجادة ولم يميطوا القناع عن وجه الفائدة وقد اشار اليها العلامة عبد الحكيم في حاشية التفسير وتقديم الخبر هنا للتشويق الى المبتدا لمعرفة الفريق المتحدث عنه واذا تقرر ان قوله تعلى من الناس موذن بان المتحدث عنهم لهم قصة حقيق صاحبها بالاخفاء اذ لا يستر ذكرهم الا لان حالهم من الشناعة بحيث يستحي المتكلم ان يصرح بموصوفها وفي ذلك من تحقير شان النفاق ومذمته امر كبير وارد على طريقة العرب فوردت في شانهم هنا ثلاث عشرة اية متتابعة نعي عليهم فيها خبثهم ومكرهم وسوء عواقبهم وسفــه احلامهم وجهالتهم واردف ذلك كله بتحقير وتهكم وتمثيل حالهم في اشنع الصور وهم احرياء بذلك فان الخصلة التي تدربوا فيها تجمع مذام كثيرة اذ النفاق يجمع الكذب والجبن والمكيدة وافــن الراي والبله وفساد التربية والطمع واضاعة العمر وزوال الثقة وعداوة الاصحاب واضمحلال الفضيلة . اما الكذب فظاهر واما الجبن فلانه لولاه لما دعاه داع الى مخالفة ظاهر فعله لما يبطنه . واما المكيدة فلانه يحمل على اتقاء الاطلاع عليه بكل ما يمكن . واما افن الراي فلان ذلك دليــل على الشعور بضعف العقل حتى سلك سبيل اخفاء رايه . واما البله فللجهل بان ذلك لا يطول تمشيه . وامــا فساد التربية فلان طبع النفــاق اخفــاء الصفات المذمــومة والصفــات المذمومة اذا لم تظهر لا يمكــن للمــربي ولا للصديق ولا لعموم الناس تغييرها على صاحبها فتبقى كما هي وتزيد تمكنا بطول الزمان حتى تصير ملكة يتعذر زوالها . واما الطمع فلان غالب احوال النفاق يكون للرغبة في حصول النفع . وامــا اضاعة العمر فلان العقل ينصرف الى تدبير احوال النفاق وما يلزم اجراؤه مــع الناس وما الحيلة لاخفــاء ذلك وفي ذلك صرف الذهن عن الشغل بما يجدي . واما زوال الثقة فــلان الناس ان اطلعوا عليه ساء ظنهم فلا يثقون بشيء يقع منه ولو حقا . واما عداوة الاصحاب فكذلك لانهم اذا علموا ان ذلك خلق صاحبه خشوا غدره فحذروه فادى ذلك الى عداوته . واما اضمحلال الفضيلة فنتيجة ذلك كله . وقد اشار قوله تعلى ومــا هم بمؤمنين الى الكذب وقــوله يخادعون الى المكيدة والجبن وقوله ومــا يخادعون الا انفسهم الى افن الراي وقوله وما يشعرون الى البله وقـوله في قلوبهم مرض الى نقص التربية وقوله فزادهم الله مرضا الى دوام ذلك وتزايده مع الزمان . وقوله قالوا انما نحن مصلحون الى اضاعة العمر في غير المقصود وقوله قالوا انا معكم مؤكدا بان الى قلة ثقة اصحابهم فيهم . وقوله فما ربحت تجارتهم الى ان امرهم لم يحظ بالقبول عند اصحابهم وقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون الى

اضمحلال الفضيلة منهم وسيجيء تفصيل لهذا وجمع عند قوله تعلى في قلوبهم مرض ،والناس اصله اناس على اصح الاقوال بدليل ظهور ذلك في قول عبيد بن الابرص الاسدي يخاطب امرأ القيس

ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا

وبدليل قولهم في مرادفه انس واناسي وكل ذلك مشتق من الانس بضم الهمزة فحذفت همزته تخفيفا وحذف الهمزة للتخفيف شائع كما قالوا لوقة في الوقة وهي الزبدة . وقد التزم حذف همزة اناس عند دخول ال عليه غالبا .وهو اسم جمع لانسان وقيل انه جمع وهو من الجموع التي جاءت على وزن فعال بضم الفاء مثل ظوار جمع ظير ورخال جمع رخل وهي الانثى الصغيرة من الضان ووزن فعال قليل في المجموع في كلام العرب وقد اولع ائمة اللغة بجمع ما ورد منه فذكرها ابن خالويه في كتاب ليس وابن السكيت وابن بري وقد عد المتقدمون منها ثمانية جمعتها ثلاثة ابيات تنسب للزمخشري والصحيح انها لصدر الافاضل ثم الحق كثير اللغويين بتلك الثمان كلمات اخر حتى انهيت الى اربعة وعشرين جمعا ذكرها الشهاب الخفاجي في شرح الدرة فعليكم بمراجعته وقد قيل ان ما جاء بهذا الوزن اسماء جموع وكلام الكشاف يؤذن به

والتعريف في الناس للجنس على الاصح لان ما عليه فيما تقدم من استعماله في كلامهم يؤيد ارادة الجنس ،ويجوز ان يكون التعريف للعهد والمعهود هم الناس المتقدم ذكرهم في قوله ان الذين كفروا او الناس الذين يعهدهم النبيء صلى الله عليه وسلم والمسلمون في هذا الشان وهم الكفرة وعلى كل تقدير فالمذكور بقوله ومن الناس من يقول الخ قسم ثالث مقابل للقسمين المتقدمين للتمايز بين الجميع بأشهر الصفات وان كان بين البعض والجميع صفات متفقة في الجملة فلا يشتبه وجه جعل المنافقين قسيما للكافرين مع انهم منهم لان المراد التقسيم بالصفات المخصصة

وانما اقتصر القرآن على قولهم ءامنا بالله وباليوم الاخر مع انهم أظهروا الايمان بالنبيء صلى الله عليه وسلم ايضا قصدا للايجاز في الاخبار لان الاول هو مبدا الاعتقادات كلها لان من لم يؤمن بالصانع لا يصل الى الايمان بما بعد ذلك اذ هو الاصل كما هو مقرر في كتب علم الكلام وبه صلاح الاعتقاد الذي هو اصل العمل ،والثاني هو الباعث والوازع في الاعمال كلها وبه صلاح الحال العملي وعندي ان وجه الاقتصار على ذلك انه حكاية لكلامهم فهم الذين اقتصروا فيما اظهروه من الايمان على قولهم ءامنا بالله وباليوم الآخر لغلوهم في الكفر فلا يستطيعون ان يذكروا الايمان بالنبيء صلى الله عليه وسلم كراهية لهذا الاعتراف فيقتصرون على ذكر الله واليوم الآخر وهم يوهمون بذلك ان كلامهم اكتفاء في ظاهره وما هو الا محافظة على كفرهم باطنا لان اكثر المنافقين وقادتهم كانوا من اليهود فنبه القرءان على ما قصدوا تمويهه

وفي التعبير بلفظ يقول في مثل هذا المقام ايماء الى ان ذلك قول غير مطابق للواقع لان الخبر المحكي عن الغير اذا لم يكن المقصود ذكره نصه بحروفه وحكي بلفظ يقول اومأ ذلك الى انه غير مطابق




# بـــاب

## قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا (*)

أخرج البخاري من طريق جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صــلى الله عليه وسلــم : أعطيت خمسا لم يعطهن نبيء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي ادركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، وكان النبيء يبعث الى قـومه خاصة وبعثت الى الناس كافة ، واعطيت الشفاعة .

هذا الحديث الشريف مما اشتهر بين ايمة الحديث ورواته اشتهارا بلغ مبلـغ التواتر بل قـال السيوطي انه متواتر وقد تضمن خمس خصائص مما اختص به صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام

الخصوصية الاولى النصر بالرعب اي الخوف يقذفه الله في قلوب اعدائه من غير اسباب تقتضي ذلك عادة قال تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، وقال وقذف في قلوبهم الرعب ، والتقييد

---

لاعتقاده وأن المتكلم يكذبه في ذلك ففيه تمهيد لقوله وماهم بمؤمنين . وقوله وماهم بمؤمنين جيء فيه بالجملة الاسمية المنفية ولم يجيء على وزان قولهم ءامنا بان يقال وما ءامنوا لانهم لما اثبتوا الايمان لانفسهم كان الاتيان بالماضي اشمل حالا لاقتضائه تحقق الايمان فيما مضى بالصراحة ودوامه بالالتزام لان الاصل ان لا يتغير الاعتقاد بلا موجب كيف والدين هو هو ولما اريد نفي الايمان عنهم كان نفيه في الماضي لا يستلزم عدم تحققه في الحال بله الاستقبال فكان قوله وما هم بمؤمنين دالا على انـتفائه عنهم في الحال وهو يستلزم انتفاءه في الماضي بالاولى . ولان الجملة الفعلية تدل على الاهتمام بشان الفعل دون الفاعل فهم لما رأوا المسلمين يتطلبون ايمانهم قالوا ءامنا والجملة الاسمية تدل على الاهتـمـام بشان الفـاعل اي ان القائلين ءامنا لم يقع منهم ايمان فالاهتمام بالمسند اليه في جملة النفي تسجيل على كذبهم وهـذا من مواطن الفروق بين الجملتين الفعلية والاسمية وهو مصدق لقاعدة افـادة التقديم الاهتمام مطلقا وان اهملوا التنبيه على جريان هذه القاعدة في الفرق بين الجملة الفعلية والاسمية في كتب المعاني واشار اليه صاحب الكشاف هنا بكلام دقيق الدلالة

---

(*) درس الحديث الشريف الذي ختم به مولانا العلامة الهمام شيخ الاســلام الحنـفي الشيخ محمد بن يوسف ابقاه الله بجامع حمودة باشا في رمضان عام ١٣٥٦ وحضره جلالة الملك سيـدنا احمد باشا باي وآل البيت الحسيني العظام ووزراؤه الفخام ورجال دولته الكرام

بمسيرة الشهر للمبالغة فيعم الشهر وما دونه تشهد بذلك رواية عمرو بن شعيب ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر

الخصوصية الثانية جعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا وهذه الخصوصية مجموع امرين احدهما جعل الارض كلها مسجدا اي محلا للسجود او مكانا للصلاة الا ما قام فيه الدليل على الكراهة او عدم الصحة وقد بين صلى الله عليه وسلم وجه الخصوصية بقوله وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل اي بخلاف من كان قبلنا فانما ابيحت لهم الصلاة في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع وقد جاء ذلك صريحا في رواية عمرو بن شعيب وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنائسهم. وفيما اخرجه البزار من رواية ابن عباس ولم يكن من الانبياء احد يصلي حتى يبلغ محرابه. ثانيهما جعل الارض له ولامته طهورا اي مطهرة يتطهر بها من الحدث كما يتطهر بالماء بيان لرخصة التيمم الذي جاء التنزيل بمشروعيته ببركة ءال ابي بكر

ففي صحيح البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف قال اخبرنا مالك عن عبدالرحمن بن القاسم عن ابيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى ابي بكر الصديق فقالوا الا ترى ما صنعت عائشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اصبح على غير ماء فانزل الله ءاية التيمم فتيمموا. فقال أسيد بن الحضير ما هذه باول بركاتكم يا ءال ابي بكر. فبعثنا البعير الذي كنت عليه فاصبنا العقد تحته

وفي الحديث دليل على صحة نسبة الفعل للمتسبب لقول الناس الا ترى ما صنعت عائشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم

وانظر ايها الباحث عن اسرار البلاغة ولطائفها الى قول عائشة رضي الله عنها فعاتبني ابو بكر ولم تقل ابي لان وصف الابوة المقتضي للحنو غير مناسب لمقام العتاب والتأديب بالفعل فانزلته منزلة الاجنبي وعبرت بالكنية المشعرة بنوع ما من التعظيم اداء لحق الابوة فوفت المقام حقه من الوجهتين الشرعية والادبية وذلك من كمال بلاغتها وكم لها فى مثل ذلك من نظير

اخرج البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى عليه وسلم اني لاعلم اذا كنت عني راضية واذا كنت علي غضبى. قالت: فقلت من أين تعرف ذلك فقال: اما اذا كنت عني راضية تقولين لا ورب محمد واذا كنت غضبى قلت لا ورب ابراهيم. فقلت: اجل يا

رسول الله ما أهجر الا اسمك. فتأمل حياك الله في قولها لا ورب ابراهيم فان التخصيص بسيدنا ابراهيم عليه السلام لاظهار التلطف وشدة التعلق بالنبيء صلى عليه وسلم ولو في تلك الحال لان النبي صلى الله عليه وسلم اولى الناس بابراهيم عليه السلام اي أخصهم به واقربهم منه قال تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبيء. فذكر من هو به اولى اجدر بمقتضى الحال واولى ثم اعطف ببصرك الى قولها ما اهجر الا اسمك لترى ما فيه من كمال الاحتراس والمحافظة كما لايخفى وقد اعاد البخاري حديث عائشة في التيمم من رواية عروة بن هشام وفيه ان عائشة استعارت القلادة من اختها اسماء رضي الله عنها وان الناس ادركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء . وترجم له بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا. وانما اعاده بتلك الترجمة لامرين احدهما دفع التعارض بين الروايتين في نسبة القلادة بان اضافتها في الرواية الاولى لعائشة من اضافة الشيء للمستعير لكونه في يده وتصرفه وفي الرواية الثانية لاسماء من اضافه الشيء لمالكه. ثانيهما بيان الفقه الذي استنبطه من هذه الرواية وهو ان فاقد الطهورين يصلي ولا يعيد لان القوم صلوا من غير طهارة بالماء قبل نزول ءاية التيمم ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا امرهم بالاعادة. ولان فقد التراب بعد مشروعية التمم بمثابة فقد الماء قبل مشروعيته. وذلك كدأبه الذي امتاز به هذا التاليف المبارك حتى اشتهر ان فقه البخاري في تراجم ابوابه بيد ان طائفة منها جاءت تطارحنا لا على طريق الصراحة بل على طريق الرمز والاشارة فكانت عزيزة المنال

اعي فحول العلم حول رموزما ابداه في الابواب من اسرار

ومن ثم قيل ان شرح تراجمه لم يزل دينا على الامة فلا غرو اذا قلنا ان جامع محمد ابن اسماعيل من الغريب المصنف في الاحكام الشرعية بمداركها الاجتهادية وبهذا النموذج اللطيف يتبين ان اعادة الاحاديث فيه ليست لمجرد التكرار بل لبيان الاسرار ومعاني الاثار ويرحم الله القائل

قالوا المكرر فيه قلت المكرر أحلى

وللمجتهدين في فاقد الطهورين اقوال يصلي. او يتشبه بالمصلي ويعيد. لا يصلي ويعيد. يصلي ولا يعيد. وهو قول البخاري وجمهور المحدثين وهو ظاهر الحديث من رواية عروة بن هشام

وسواء قلنا إن التيمم رخصة أو عزيمة فهو لما فيه من التيسر ورفع الحرج كسائر الرخص اللتي هي صدقات وهدايا من الله تعالى لعباده رحمة منه وفضلا فينبغي للعبد ان يتقبل هدية مولاه بواجب الشكر وغاية الاجلال والتعظم قال تعلى يا ايها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله. وقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا. وفي الحديث ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال في قصر الصلاة للمسافر انها صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته . الى غير ذلك من الايات والاحاديث ومن الهدايا الثمينة الوعد بالثواب الجزيل على العمل القليل كالتسبيح بالكلمتين الحبيبتين سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

وفي حديث حذيفة عند مسلم وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت لنا تربتها طهورا. وبه استدل الشافعي واحمد على تخصيص الارض في حديث جابر الذي رواه البخاري بالتراب فلا يجوز التيمم عندهما بغير التراب من اجزاء الارض خلافا لابي حنيفة ومالك واجاب القرطبي وابن الهمام بان حديث حذيفة غير مخصص لان التخصيص اخراج بعض افراد العام من الحكم ولم يخرج حديث حذيفة شيئا وانما ذكر فيه بعض افراد العام بحكم العام كقوله تعالى: فيهما فاكهة ونخل ورمان. وذكر فرد من العام بحكم العام لا ينافي حكم العام حتى يكون مخصصا. هذه خلاصة الجواب ولعلك تقول ان عنيت بعدم المنافاة عدمها من جهة المنطوق فمسلم لان حكم الفرد هو حكم العام وان عنيت من جهة المفهوم فلا لان الاقتصار على ذلك الفرد يفهم منه بطريق المخالفة نفي الحكم عما عداه وبذلك يتحقق الاخراج الذي هو التخصيص وعسى ان يكون ذلك ملحظ الامامين فالجواب ان هذا انما يتم اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم كيف والمنطوق مقدم على المفهوم وايضا فان لفظ التربة لقب ولم يقل بمفهوم اللقب الا الدقاق وبعض الاصوليين .

الخصوصية الثالثة احلال الغنائم وكان ذلك في غزوة بدر وفيها نزل قوله تعلى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا كما في الصحيح ولم تحل لاحد من الأمم الماضية بل كانوا يجمعونها وتأتي نار تاكلها قال في الفتح وذلك في غير النساء والصبيان .

الخصوصية الرابعة عموم الرسالة للناس كافة وكان النبيء يبعث الى قومه خاصة وهو صلى الله عليه وسلم مبعوث لجميع الامم والشريعة التي جاء بها ناسخة لجميع الشرائع قبلها غير مقصورة على امته او طائفة دون اخرى تظافرت على ذلك الايات الصريحة والاحاديث الصحيحة قال تعالى : وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . وقال : قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا . وقد اجمعت الامة اجماعا قطعيا على ان المراد بهاتين الايتين مدلوهما اللغوي من غير تخصيص ولا تاويل ووردت السنة بذلك كحديث الباب ونحوه وكتب صلى الله عليه وسلم للملوك زمانه يدعوهم وامهم الى الاسلام ولا يشكل على ذلك ان سيدنا نوحا عليه السلام كان مبعوثا بعد الطوفان الى جميع اهل الارض وهم اصحاب السفينة الذين ءامنوا به وقبل الطوفان ايضا لدعائه على جميع اهل الارض بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . لوجوه ذكرها العلماء احسنها عندي ان اهل الارض قبل الطوفان وبعده هم قومه للتنصيص على ذلك في ءايات انا ارسلنا نوحا الى قومه. ولقد ارسلنا نوحا الى قومه. فبعثته عليه السلام في ذاتها خاصة لكونها الى قومه وفي الصورة عامة لعدم وجود غيرهم في الحالتين

الخصوصية الخامسة الشفاعة والمراد بها هنا الشفاعة التي هي من خصائصه صلى الله عليه وسلم وهي ثلاث الاولى الشفاعة العظمى لا راحة الناس من هول الموقف وتقديمهم للحساب وهذه الشفاعة

لم يخالف فيها احد لا من المعتزلة ولا من غيرهم لتوارد الاحاديث الصحيحة البالغة مبلغ التواتر ومقامها هو المقام المحمود الذي يحمده فيه الاولون والآخرون واليه الاشارة بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا . وقد اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة . الثانية الشفاعة في ادخال سبعين الفا الى الجنة بغير حساب فقد ورد في الصحيح يدخل الجنة من أمتي سبعون الفا بغير حساب . وفي ءاخر حديث الشيخين عن ابي هريرة فأرفع رأسي فأقول : يارب أمتي يارب أمتي . فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة الثالثة الشفاعة لمن دخل النار من المذنبين واخراج من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد جاءت الاحاديث بذلك تترى فلا عبرة بانكار المعتزلة والخوارج بناء على اصلهم الفاسد . وله صلى الله عليه وسم شفاعات اخرى في رفع الدرجات وغير ذلك مما وردت به الاحاديث والاثار . هذا وليس تقييد الخصائص في حديث الباب بعدد الخمس مقتضيا لنفي الزيادة عليها بطريق مفهوم المخالفة لان المفهوم هنا معطل لا اثر له فقد جاءت الايات والاحاديث ناطقة باختصاصه صلى الله عليه وسلم بخصائص كثيرة اخرى كالكوثر والمقام المحمود ولواء الحمد والوسيلة وغير ذلك بالغة كما قال النيسابوري الى ستين ومن الاصول المقررة ان المنطوق مقدم على المفهوم على ان مفهوم المخالفة بجميع انواعه ومفهوم العدد بالخصوص من مجاري الخلاف بين ائمة الاجتهاد وقد اشتهر عن الحنفية القول بعدم اعتباره والتحقيق ان كلمه المتقدمين اختلفت في اعتباره ثبوتا ونفيا والذي تداوله المتأخرون انه غير معتبر في الادلة الشرعية لاحتمال ان يكون التقيد باحد الاشياء الدالة على المخالفة لفائدة اخرى غير نفي الحكم عن المسكوت ومعتبر في كلام الناس الجاري على مقتضى عرفهم في الاستعمال ككلام ارباب التنصيف ونصوص الاوقاف ونحو ذلك ومن ثم افتى كثير من الفقهاء بان اقتصار الواقف على رجوع نصيب من مات عن غير ولد لمشاركه في الطبقة يدل بطريق المخالفة على رجوع نصيب من مات عن وله لولده لان نصوص الاوقاف من جملة كلام الناس وهو ماعول عليه شيوخنا في الفتوى والقضاء وجرى به عملنا الى هذا اليوم . وربما اشكل ذلك من وجهين الوجه الاول ان المعتبر في مفهوم المخالفة هو التنقيص اي نفي حكم المنطوق عن المسكوت لا ثبوت ضد الحكم للمسكوت بمفهوم في السائمة زكاة نفي الزكاة عن غير السائمة لا ثبوت الحرمة او الكراهة مثلا في غير السائمة وعلى وزانه تكون المخالفة في كلام الواقف عدم رجوع نصيب من مات عن ولد للمشارك الذي هو النقيض لا رجوعه للولد بالخصوص الذي هو ضد حكم المنطوق . الوجه الثاني قد تقرر ان نص الواقف كنص الشارع فكيف ساغ اعتبار اصل المخالفة في النصوص الوقفية الملحقة بالنصوص الشرعية والذي يظهر في الجواب عن الوجه الاول ان المعروف من كلام الواقفين الجارية به اقلام الموثقين في مثل ذلك هو ان المقصود من التقييد بمن مات عن غير ولد هو رجوع نصيب الميت عن ولد لولد

لا مجرد نفي رجوعه للمشارك والمعروف عرفا كالمشروط نصا وبذلك يتجلى ان المخالفة قد تكون على الضد وان اعتبار النقيض فيها ليس كليا بل هي على ضربين لغوية مبينة على النقيض بحسب الوضع وعرفية مبنية على الضد بحسب العرف . وعن الوجه الثاني بان الفقهاء صرحوا بان لفظ الواقف والموصي والحالف والناذر وكل عاقد يحمل على عرفه ولغته التي يتكلم بها فلا غرابة اذا ذهبنا الى تخصيص الكلية القائلة نص المواقف كنص الشارع بما ليس له عرف في الاستعمال وللعرف مكان من الاهمية والاعتبار في فصول كثيرة وفروع شتى من الاحكام

والعرف في الشرع له اعتبار  لذا عليه الحكم قد يدار

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم خصوصيات امته عموما واصحابه خصوصا فانها من كمال تفضيله ومرجعها اليه

ما أنزل الرحمن أو ينزل  من رحمة تختص او تشمل

الا وصلة المصطفى عبده  مختاره نبيه المرسل

وللصحابة رضي الله عنهم خصوصيات كثيرة فمن خصوصيات ابي بكر رضي الله عنه مرافقته للنبيء صلى الله عليه وسلم في الهجرة ومؤانسته له في الغار واعظم بها من خصوصية وسد الابواب الشارعة الى المسجد الا باب ابي بكر ففي البخاري ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال لا يبقين في المسجد باب الاسد الا باب ابي بكر . ومن خصوصيات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرار الشيطان منه . في صحيح البخاري عن سعد ابن ابي وقاص قال استاذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر بن الخطاب فمن يبادرن الحجاب فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر اضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبيء صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر فانت احد ان يهبن يا رسول الله ثم قال عمر يا عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله فقلن نعم انت افض واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك . ومن خصوصيات سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه تزوجه بكريمتي النبيء صلى الله عليه وسلم سيدتنا رقيه ثم سيدتنا ام كلثوم واستحياء الملائكة منه كما في حديث مسلم وغيره . ومن خصوصيات سيدنا علي كرم الله وجهه اخاء النبيء له عند ما ءاخى النبيء صلى الله عليه وسلم بين اصحابه . وفي البخاري انه قال لعلي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى وزاد مسلم الا انه لا نبي بعدي . ومن خصوصيات غير الخلفاء الراشدين من الصحابة خصوصية خزيمة ابن ثابت رضي الله عنه وهي جعل شهادته بشهادة رجلين

# التقوى وحسن الخلق

عن ابي ذر ومعاذ بن جبل ــ رضي الله عنهما ــ
ان رسول الله صلى عليه وسلم قال : اتق الله حثما
كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ،
وخالق الناس بخلق حسن .( رواه البخاري )

الشرح : بقلم العلامة النحرير الحجة شيخ شيوخ
الفتوى المنعم المبرور الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور *

هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم . فقد اشتمل على نهاية الايجاز وما يقرب من حد الاعجاز فانه مع قلة الفاظه وعذوبة نظمه جمع صلى الله عليه وسلم ما يلزم الانسان في دار التكليف من اداء حقوق الخالق ومعاملة المخلوق وذلك مدار كلية التكاليف كما لا يخفى . والخطاب وان كان لجزئية استعماله يقتضي قصر الحكم على المواجه به لكنه يعم كل مكلف صالح للخطاب عموما حقيقيا على ما هو طريقة الحنابلة المنسوبة اليهم في المستصفى اذ كل مكلف موجه له الخطاب القرءاني الذي هو عنوان الحكم التكليفي والمبلغ الاول الرسول صلوات الله عليه ثم المتأهل لذلك من الصحابة وعلماء الامة الواردة فيهم : علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل

و ( اتق ) امر من الاتقاء افتعال من الوقاية التي هي في اللغة فرط الصيانة وشدة الاحتراس

---

ففي حديث ابي داود وغيره ان النبيء صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابي فرسا واستبتعه ليعطيه الثمن فتقدم النبيء صلى الله عليه وسلم وتاخر الاعرابي فطفق رجال يساومونه بالفرس ولا يشعرون بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فقال الاعربي للنبيء صلى الله عليه وسلم ان كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه والا بعته فقال له النبيء صلى الله وسلم او ليس قد ابتعته منك فجحد الاعرابي وقال له هلم شاهدا فجعل من حضر من المسلمين يقولون للاعرابي ويلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الا الحق فجاء خزيمة بن ثابت فقال انا اشهد انك بعته فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم كيف تشهد ولم تكن معنا فقال انا صدقتك فيما جئت به افلا اصدقك على هذا الاعربي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ولم يكن في الاسلام من تعدل شهادته شهادة رجلين غير خزيمة وكان يلقب بذي الشهادتين . ومنها خصوصية سعد ابن ابي وقاص باجابة الدعاء اخرج الترمذي والحاكم وصححه من طريق قيس بن سعد ان النبيء صلى الله عليه وسلم قال اللهم استجب لسعد دعاءه فكان لا يدعو بشيء الا استجيب له وكانت له دعوات كثيرة مستجابة

اللهم استجب دعاءنا وحقق بفضلك رجاءنا

---

* درس الحديث الذي ختم به فضيلة الشيخ في مسجد مدرسة حوانيت عاشور في رمضان

المكاره ومن مرس واق اذا كان يقي أدنى شيء يصيبه . ومن الصيغة بذلك المعنى قول الشاعر :

فالقت قناعا دونه الشمس واتقت    باحسن موصولين كف ومعصم

ومنه قول النابغة :

سقط النصيف ولم تـرد اسقاطه    فتناولتـه واتقـتنـا باليـد

ومواقع استعمال الصيغة كالبيتين تقتضي ارادة التكلف والاتخاذ كما هو احد استعمالات افتعل وهو المفهوم من كلام اهل اللغة قال الراغب : التقوى هي جعل النفس في وقاية مما يخاف . وظاهر قول صاحب الكشاف في تفسير المتقي انه اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى ان الصيغة للمطاوعة . وتبعه القاضي عليه . وقرره حواشيه فتكلفوا للمطاوعة وجها مع بعده في نفسه يوجب التاويل في تعلق التكليف بالتقوى بصرفه الى التكليف بتحصيل اسباب القبول والا فالمطاوعة انفعال ولا تكليف الا بفعل كما قرر في الاصول . وعلى المختار فيها جاء تفسيرها من لسان أهل الشريعة فقالوا : هي حفظ النفس عن كل ما يؤثم . وسأل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أبيا عنها . فقال : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ فقال نعم . قال : فما عملت فيه ؟ قال : شمرت وحذرت . قال : فذلك التقوى . ولقد أجاد رضي الله عنه في تمثيل معقولها بالمحسوس المفيد انها التحذر والصون من الوقوع في المخالفات . وقد احسن الغاية ابن المعتز في عقد ذلك نظما حيث قال :

خل الذنـوب صغيـرها * وكبيرها ذاك التقى    واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيـرة * ان الجبال من الحصا

ثم نظم ابن المعتز مبني على ان ترك الصغائر من مفهوم التقوى في عـرف الشرع . واليه ذهب طائفة من المحدثين واهل السنة متمسكين بان فرط الصيانة الذي هو أصل التقوى يقتضي التخلي عن الصغائر . وبحديث : لا يبلغ احد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به باس . اخرجه الترمذي وابن ماجة

ومذهب الجمهور انه لا يشترط في المتقي شرعا اجتناب الصغائر وحجتهم واضحة فان الصغـائر قلما ينجو منها احد ومنهم من لا يسبق الى اسم المتقي بعد الانبياء غيرهم كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف الصـالح والتمسك بالحقيقة اللغوية غيـر معتبر في الحقائق العرفية لكثـرة التـغاير بين الاصطلاحين بل ما كان تعدد الحقائق الا باعتبار التغاير . على ان الشهـاب في حواشي القاضي انكر زياد لفظ الفرط وقال المذكور في كتب اللغة تفسيرها بالحفظ والصيانة وما ذكره من الزيادة زيادة . وعن الحديث بانه مسوق لبيان الكامل في الحقيقة بسند لزوم خروج من بناه وفيـه نظر . وبان حمله على ظاهره يوجب خروج غير المتورع عن التـقوى لان ترك ما لا بأس بـه حذرا من الوقوع فيما بـه الباس هو الورع ولا قائل بذلك من الفريقين فوجب تاويله على كلا القولين . على ان الحديث يحمل

محمل ومن وقع في الشبهات وقع في المحرمات المراد به التنبيه على شدة الحذر وعدم التساهل . فمعنى حتى يدع ما لا باس به ـ الخ ـ حتى يكون على غاية الحذر من الوقوع في المحرمات بان يكون متيقضا حازما غير متساهل بالامور . ونحن نقول ان ذلك معتبر في مفهوم التقوى كما لا يخفى ويؤيده ان التهاون بالصغائر والتساهل فيها يصيرانها كبيرة كما صرحوا به واليه أشار ابن المعتز في ثالث أبياتـه ولك باعتبار هذا ان ترجع بالخلاف الى الوفاق والله اعلم

ثم الواجب من التقوى المأمور به في غير ما ءاية صون العبد نفسه عن وعيد مخالفة الخالق بفعل المستطاع من المأمورات واجتناب المنهيات وذلك هو مقام عبوديته وهو المراد بالحق في قوله جل اسمه ( يايها الذي ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ) قال القاضي : اى حق تقواه وما يجب منها وهـو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم . كقوله فاتقوا الله مـا استطعتم . اه .

ومن البين ان فعل المأمـور به وترك المنهي عنه لا يكون تقوى الا بملاحظة الامر والنهي وخوف الوعيد . يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم عن ابي هريرة : التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاثا أي عمادها الذي هو الخوف في القلب ، أخذه علي رضي الله عنه فقال حين سئل عن التقوى : هي الخوف من الجليل . والعمل بالتنزيل . والقناعة بالقليـل . والاستعداد ليوم الرحيل ، ومن حديث ان التقوى اتقاء وعيـد المخالفة تعددت انواعها بتعدد المأمورات والمنهيـات وقبلت التفـاوت في نفسها وفي التنزيل ( وسيجنبها الاتقى ) بصيغة التفضيل اي الـذي اتقى الشرك والمعاصي . وكانت التقوى في كل شيء التزام العبودية الخاصة به من امر ونهي

قال اكثر المفسرين : ان عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله وعلم وشكى الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تأمرنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : اتق الله واصبر وآمرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيـم فعاد لبيته وقال لامرأته ما قال له صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان وغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وكانت اربعة ءالاف شاة وجاء بها الى أبيه . فنـزل قوله تعالى ( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب )

وقوله في الحديث : حيثما كنت ، لافادة تعميم الا مكنة أي في كل مكان كنت فيه . والمراد من ذلك التنبيه على ملازمة التقوى على كل حال واختار عنوان المكان لما ان الغـالب على الانسـان التستر بمكان الانفراد حال التلبس بالمخالفة لغلبة الجهالة عليه إذاك حتى يغفل عن احاطة علمـه تعالى بـكل مكان ولله در بعضهم حيث يقول : اذا أردت ان تعصي الله فاعصه حيث لا يراك ، ومن ثم عظم شان الخلوة وكانت خاتمة خصال السبعة الذين يظلهم الله بظله معبرا عنه بقوله عليه السلام : ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

قوله صلى الله عليه وسلم : وأتبع السيئة الحسنة تمحها بفتح همزة أتبع بمعنى ان تفعل بعدها بقرب كما هو ظاهر الاتباع . وأل في السيئة والحسنة جنسية وظاهر ذلك ارادة السيئة بما يشمل الصغيرة والكبيرة ويراد من الحسنة ما يشمل التوبة وغيرها من أفعال البر . فالثاني يكفر الاول من السيئات والاول يكفر الثاني منها . وظاهر لفظ المحو كلفظ الاذهاب في قوله جل إسمه ( ان الحسنات يذهبن السيئات ) أنها تزال من صحف الكاتبين . وهو مدلول قوله جل اسمه ( يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ) وحاصل معنى هذه الجملة الشريفة أن السيئة اذا أتبعت بحسنة محيت . وتفصيله كما أشرنا اليه ان السيئة اذا كانت صغيرة محتها الحسنة التابعة كيفما كانت واذا كانت كبيرة كان محوها بحسنة مخصوصة هي التوبة . والمراد السيئات التي هي من غير حقوق العباد فلا تكفر الا بالاستحلال

واعلم أن تقسيم الذنوب الى كبائر وصغائر مذهب جمهور المتكلمين وعليه تدل آيات الكتاب المجيد كقوله تعالى ( إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ) وقوله ( وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ) فالفسوق الكبائر والعصيان الصغائر والالزم التكرار . ومناط التقسيم ذات الفعلة وما فيها من المفسدة دون الالتفات الى مخالفة الله فانها بالنظر الى ذلك على حد واحد وهي شبهة من نفى الصغائر

وعلى مذهب الجمهور اختلاف في تمييز الكبائر من الصغائر اختلافا أفضى الى عدم الاعتماد فيه على محصل فمنهم من سلك طريق العد على اختلاف في القلة والكثرة ومنهم من سلك طريق الضبط بما ورد فيه الوعيد بالنار أو ترتب عليه حد فهو الكبيرة . وكل ذلك لا يفيد تمييزا كما يعلم بمراجعة ما للعلماء في ذلك من الاقاويل وجنح شهاب الدين القرافي الى التمييز بعظم المفسدة وحقارتها فقال في التاسع والعشرين والمائتين من قواعده : الصغيرة في المعاصي ليس من جهة من عصي بها بل من جهة المفسدة الكائنة في ذلك الفعل فالكبيرة ما عظمت مفسدتها ورتب المفاسد مختلفة فأدنى رتب المفاسد تترتب عليها الكراهة ثم كلما عظمت المفسدة ارتفعت الكراهة حتى تكون أعلى رتب الصغائر تليها أدنى رتب الكبائر ثم تترقى رتب الكبائر بعظم المفسدة حتى تكون أعلى رتب الكبائر يليها الكفر اه .

وقدح فيه ابن الشاط بان النظر الى مقادير المفاسد في ضبط الصغائر والكبائر لا يصح لانه بناء على قواعد المعتزلة . ثم انه رجوع الى عدم التمييز لجهلنا بمقادير المفاسد وعدم وصولنا الى العلم بحقيقته اه .

قلت أما الاول فبين الفساد فان بناء الشريعة المطهرة على اعتبار المصالح والمفاسد أمر معلوم أثبته الاستقراء لها كما وقع التصريح به في أول كتاب المقاصد من الموافقات . والخلاف بين أهل السنة والمعتزلة انما هو في الوجوب وعدمه وكون العقل يتوصل الى المصلحة فيعلم الامر والى المفسدة فيعلم النهي أو لا يدرك ذلك الا بعد ورود الامر والنهي بالاولين قال المعتزلة وبالثانيين قال أهل السنة .

واما الثاني فهو وان كان متجه الظاهر اذ يقال لا يعلم من النهي الا وجود المفسدة وأما اعتبار مقدارها فقدلا يدرك كونه عظيما أو حقيرا لكنه مدفوع بالالتفات الى مقصد الشرائع وحفظ كلياتها فاذا تبين ما قصد الشارع حفظه تبينت رتب المفاسد ومقاديرها بالنسبة الى الخلل اللاحق لذلك المحفوظ وقد شرح ذلك بما لا مطمع للنفس وراءه خبر هذه الامة أبو حامد الغازلي فقال في كتاب التوبة من الاحياء : لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما أعيانها فنعرفه بالظن والتقريب وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا أن مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقائه وأنه لا وصول لذلك إلا بمعرفة الله ومعرفة صفات رسله و كتبه واليه الاشارة بقوله تعالى ( وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون ) أي ليكونوا عبيدا ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فهذا هو المقصد الاقصى ببعثة الانبياء ولكن لا يتم هذا إلا بالحياة الدنيا وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا مزرعة الاخرة فصار حفظ الدنيا مقصودا تبعا للدين ووسيلة اليه وحفظ الحياة الدنيا منوط بحفظ النفوس والاموال فكل ما يسد باب معرفة الله فهو أكبر الكبائر ويليه ما يسد حياة النفوس وليه ما يسد باب المعائش التي بها حياة النفوس . فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاثة مراتب الرتبة الاولى ما يمنع من معرفة الله ورسوله وهو الكفر فلا كبيرة فوقه ويتلوه مراتب البدع المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وشرائعه واوامره ونواهيه ومراتب ذلك كثيرة وتفاوتها بحسب تفاوت الخلل اللاحق بها الى حفظ الكلي الذي هو المعرفة بحق الربوبية وحق العبودية . الرتبة الثانية حفظ النفوس فقتل النفس مباشرة من الكبائر وكذلك ما يفضي الى انعدام الحياة حقيقة او حكما كاذهاب الادراك بالمسكرات . الرتبة الثالثة حفظ الاموال على أربابها اذ بها بقاء الحياة عادة فكل ما يفضي الى ضياعها على أربابها كالسرقة بنصابها مخل بحفظ ذلك الاصل فيكون ذا مفسدة عظيمة ويكون كبيرة . اه بتصرف فيه

وهو الضابط الذي لا يشذ عنه فرد عند اعمال النظر ومراعاة تلك المقاصد ومعرفة ما يوجب الاخلال بها من غيره الذي هو مناط انظار الجهابذة النقاد . ولامرية في تطرق الخلاف الى بعض منها فان ذلك شان الاجتهاديات المشروع رحمة للامة . وبهذا البيان الذي هو من غزل ابي حامد الرقيق اتجه كلام الشهاب واندفع عنه ذلك الاشكال . ومن كان ذا نباهة وتفطن وغذي بلبان التحرير يتيقن ان ذلك الضابط لحجة الاسلام مستنبط من جملة حديث المجلس فان مضمون الجملة الاولى القيام بحق الربوبية وواجب العبودية الذي هو المقصد الاول من التشريع كما قرره ومضمون الجملة الثانية افادة كيفية جبر ما تقتضيه البشرية غير المعصومة من بعض الخلل في القيام بواجب الاولى . فهما جملتان لتحقيق القيام بالواجب الاول إصالة وجبراً وبقي القيام بالواجب الثاني المتعلق بالحياة الدنيا اليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الجملة الثالثة ( وخالق الناس

بخلق حسن ) خالق الناس عاشرهم بالخلق الحسن كذا في القاموس . وعليه فذكر المتعلق لزيادة البيان والايضاح . والناس عام للمؤمن والكافر فان للكافر حقوقا في المعاملات معروفة في الشرع بسطها الشهاب القرافي في التاسع عشر والمائة من قواعده . وخلاصتها منع الموالاة والتودد المصرح بهما في قوله جل أسمه : يايها الذين ءامنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة . ومنع كل ما يفضي الى اظهار سلطانه على المسلمين وتعظيم رتبته عليهم . أما برهم بغير ذلك من الرفق بهم ولين القول لهم من غير مذلة وكل حق يحسن من الاعلى مع الاسفل ان يفعله ومن العدو مع عدوه اذا قصد مكارم الاخلاق فهذا لا منع فيه بل هو من المطلوب كما دلت عليه نصوص الشريعة وكفى قوله تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انتهى ملخص كلام الشهاب . وفي الجامع الصغير من طرق عديدة : اذا تاكم كريم قوم فاكرموه . وفي شرحه للمناوي : تعميم الحكم في الكافر والفاسق اذا كان كريم قومه مستدلا على ذلك بعنوان الحديث والعدول عن عنوان العلم او الدين وبأن معاملته بغير ما آتاه الله من الرتبة إبتلاء منه يجر الى مفاسد منهي عنها قال وقد غلط في هذا الباب كثير غفلة عن تدبير الله في خلقه وجمودا على ظاهر قوله تعالى : ومن يهن الله فماله من مكرم . وما دروا ان السنة شرحت ذلك وبينته أحسن بيان فموضع طلب إهانة الكافر والفاسق الامن من حصول مفسدة ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يتواضع لاكابر كفار قريش ويكرمهم ويرفع منزلتهم .

وههنا بحث من تتمة هذا يجب التنبه له وهو ما حدث في معاشرة الناس ومكارمتهم من الآداب المستحدثة فربما أنكر ذلك من لا تضلع له في أصول الشريعة بسبب انها لم تكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا في زمن السلف الصالح بعده ويراها لذلك بدعة مذمومة لما فيها من مخالفة السلف وتحرير ذلك ما ذكره الشهاب في التاسع والستين والمائتين من قواعده حيث قال : اعلم ان الذي يباح في مكارمة الناس قسمان . الاول ما وردت به نصوص الشريعة من افشاء السلام واطعام الطعام وتشميت العاطس والمصافحة عند الملاقاة وغير ذلك مماهو مبسوط في كتب الفروع — الثاني ما لم يرد به نص ولا كان في السلف الصالح لانعدام سببه عندهم وقد حدث سببه الآن المعتبر شرعا فتعين فعله لحدوث سببه لا لانه شرع مستانف اذ تاخير وقوع الحكم لتاخر سببه لا يكون شرعا جديدا وهذا القسم هو ما في زماننا من القيام للاعيان واحناء الرأس لهم والمخاطبة بالالقاب المؤذنة بالرفعة والمكاتبة بالنعوت الدالة على العظمة كالباب العالي والمجلس السامي والجناب المرفع وغير ذلك . فهذا كله لم يكن في السلف الصالح ونحن اليوم مامورون به مع كونه بدعة والسبب في ذلك ان ترك ذلك في زماننا يوقع في النفوس فتقع الشحناء والقطيعة المنهي عنها بحديث لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا . فهذا الحديث قاض بان كل ما يؤدي الى تلك الافعال منهي عنه

وترك ما اعتيد في زماننا من المكارمات يؤدي اليها فوجب تركه وارتكاب المعتاد. وتلك المكارمات المستحدثة كانت في حيز الكراهة دون التحريم فلما صار تركها موجبا للمقاطعة المحرمة لزم دفعه كما هو قاعدة الشرع يقدم ترك المحرم اذا تعارض المكروه والمحرم. قال وقد حضرت يوما عند الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله وكان لا تاخذه في الله لومة لائم قدمت اليه فتيا فيها : ما تقول أيمة الدين وفقهم الله تعالى في القيام الذي احدثه اهل زماننا مع انه لم يكن في السلف. هل يجوز ام يحرم ؟

فكتب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباغضوا ولا تحاسدوا. الحديث. وترك القيام في هذا الوقت يفضي إلى المقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيدا. هذا نص فتواه ثم قال الشهاب فعلى هذا القانون يجري هذا القسم بشرط أن لا يبيح محرما ولا يترك واجبا فلو علم أنه لا يرضى المعامل إلا بفعل المحرم لم يجز إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

والخلق بضمتين هو في الاصل ملكة نفسانية تصدر عنها الافعال بسهولة فإن صدرت عنها الافعال الحميدة فهي الخلق الحسن رالا فضد ذلك. ثم إن هذه الملكة لما كانت هيأة للنفس لا يتعلق بها التكليف لذاتها إذ ليست من الفعل في شيء نعم يتعلق التكليف بالاسباب المحصلة لها الراجعة إلى التصبر وحمل النفس على تحمل الضيم ومكابدة الاذى والعفو وغير ذلك فبتمرن النفس على الصفات الجميلة والاداب الممدوحة وبتعودها ذلك تحصل تلك الملكة فتنشأ عنها تلك الصفات بعد بسهولة بعد أن كانت شاقة في تحصيلها ويرجع السبب مسببا وهو مناط التكليف والمدح والذم. وبما بينا علم أن الخلق الحسن الذي هو مناط المدح والثناء مكتسب برياضة النفس والتأديب ومن ثم كان خلقه الله صلى الله عليه وسلم أشرف خلق حسن كما شهد له بذلك تعلى في قوله: وإنك لعلى خلق عظيم. حيث كان تأديبه آلهيا ورياضته قرآنية كما قالت الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما : كان خلقه القرآن قال الامام السهروردي في عوارف المعارف : في كلامها رضي الله عنها سر غامض وذلك أن النفوس البشرية مجبولة على طباع غضبية وبهيمية وسبعية والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه الذي هو شر الاولى فبقيت نفسه الزكية مبقاة فيها أمهات تلك الصفات فتنزل الآيات لقمعها عند تحركها واضطرابها تأديبا له صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعلى : كذلك لنثبت به فؤادك. فعند كل اضطراب تنزل آية لمصالح سنية يسكن بها. كما وقع في أحد إذ شج صلى الله عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم. فأنزل الله تعلى : ليس لك من الامر شيء فلبس قلبه لباس الاصطبار . ورجع بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الآيات بحسب الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن. إنتهى كلامه النفيس .

فأخلاقه صلى الله عليه وسلم ربانية بالتأديب الرباني والعناية الاحدية لا برياضة نفسانية وتكسب طبيعي كما يكون لغيره ولذلك لا يدرك شاو خلقه صلى الله عليه وسلم فافهمه

وفي المفهم (١) الخلق المحمودة اجمالا ان تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنتصف لها، وتفصيلا : العفو . والحلم . والجود . والصبر . والرحمة . ولين الجانب . وتحمل الاذى . اهـ وجماع ذلك قوله جل اسمه : الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين .

والخلق الحسن محمود في كل أمة يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : بعثت لا تمم مكارم الاخلاق . فانه صريح في سبقيتها في الامم السابقة غير ان الشريعة المطهرة جمعت ما تفرق منها واحكمته على وجه لا مطمع فيه من غيرها ولقد كانت الامة الامية من العرب يتسابقون الى نيل تلك الصفات ويناضلون عنها وكفى احدهم شرفا ان يعد من اصحاب تلك الخلال حتى قال السموءل ابن عاديا حكيم شعرائهم :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس الى حسن الثناء سبيل

ومن كلام حكماء اليونان قول سقراط الحكيم : الحكمة حسن الخلق

وقال ارسطو : بلين الكلام تدوم المودة في الصدور . وبخفض الجناح تتم الامور . وبسعة الاخلاق يطيب العيش ويكمل السرور . وكتب الى الاسكندر الارذال ينقادون بالخوف ، والاخيار بالحياء فاستعمل في الاولى البطش وفي الثانية الاحسان . وليكن غضبك لا شديدا ولا ضعيفا فان ذلك من اخلاق السباع وهذا من اخلاق الصبيان : واذا اعطاك الله ما تحبه من الظفر فافعل ما احب الله من العفو . اهـ

واعلم ان مدار اعتبار تلك الصفات ان تكون منبعثة من صفاء الباطن واخلاص الطوية كما يقتضيه اعتبار الملكة فيها . اما اذا كانت بحسب الظاهر فقط فهو التخلق المذموم، واياه يعني من يقول :

يا ايها المتحلي غير شيمته ... ان التخلق يأتي دونه الخلق

وقال محمد بن هاني مادحا

غني بما في الطبع عن مستفاده ... له كرم الاخلاق دون التكرم

وعنوان الحقيقة ظهور السرور والبشر عند التلبس بتلك الصفات فان الظواهر عنوان البواطن ومن هنا لما سئل سلام ابن ابي مطيع عن حسن الخلق انشأ يقول :

تراه اذ ما جئته متهللا ... كانك تعطيه الذي انت سائله

فلم يعتبر الاحسان من حسن الخلق الا مع التهلل والبشرى الدالين على طيب الباطن

وقد اجاد ابن الرومي مفصحا بطريقة سلام مع بيان الدليل فقال :

وقل من ضمنت خيرا طويته ... الا وفي وجهه للبشر عنوان
تلقاه وهو مع الاحسان معتذر ... وقد يسيء مسيء وهو منان
اذا تيممك العافي فكوكبه ... سعد ومرعاه في واديك سعدان
أحيى بك الله هذا الخلق كلهم ... فانت روح وهذا الخلق جثمان

والله اعلم .

---

(١) شرح على صحيح مسلم للامام احمد القرطبي ( المجلة )

# التعاضد المتين

## بين العقل والعلم والدين

« ١٠ »

بقلم العلامة الحجة الشيخ محمد الحجوي
وزير المعارف بالسلطنة المغربية

### هل الاسلام دين العقل ؟

هذه المقالة نسبها بعض المؤلفين الى رجل مصر ومصلحها وفيلسوفها محمد عبده وحملها على غير محملها فيجب ان اشرحها بما يليق بمقام الشيخ المصلح وان لم اقف على سياق كلامه حتى اجزم بالمراد منه ، ان ظني بالشيخ وما اعهده من لهجة ما وقفت عليه من كتاباته ان معناها ان الاسلام دين يوافق العقل ولا يناقضه بحال في اصوله وفروعه ويؤيد هذا المعنى ما اسلفناه وليس المراد انه شريعة عقلية بشرية ليست بوحي الاهي فهذا المعنى لا يقصده مسلم لانه كفر صراح . كما انه لا يقصد بها ان الشرع مفتقر الى العقل يرشده في كل شيء وانه لولاه ما اهتدى ، كلا ثم كلا فالشرع مستقل غير مفتقر وانما العقل ناصره وعاضده ومعينه كما سبق

كما انه لا يريد ما قاله المعتزلة وغيرهم من ان قواعد العقل مقدمة على نصوص الشرع عند التعارض ، كذلك لا يريد ما قاله المعتزلة من التحسين والتقبيح العقليين وان العقل مستقل بالاحكام يهتدى بفطرته الى عللها والى حكم تلك العلل البديعة والى الثواب والعقاب ويهتدي بفطرته الى اليوم الآخر والى المسئولية امام الله من غير توقف على الشرع . فاني احاشي جناب الشيخ عن ارادة هذه المعاني وان احتملها اللفظ ، اذ ورود الشرع يكون عبثا على هذا الاخير

## « ذيل »

### رد طعن مصطفى كمال على النبوات

من جملة ما اشتمل عليه كتاب مصطفى كمال قوله طاعنا في النبوات ان احدا من الانبياء لم يوح اليه برسالة تساعدنا على اختراع آلة من آلات استكشاف الكهرباء . او البواخر . او الطيارات . او التلفون اللاسلكي . او مبادي طب تساعدنا على مقاومة السرطان او السل الخ . وانا نجيبه عن استعجال ولا نوسع المجال ، وسأقوم بواجب عيني حيث لم اقف الى الآن على من وقف موقف

النضال معه فاقول ان وظيف الانبياء تعليمي تهذيبي احساني تبشيري تنظيمي للاجتماع البشري موطد لايجاد ما كان مفقودا في وقتهم واممهم من اتقان نظام المجتمع العام ودفع الشرور عن هذا العالم الانساني المحفوف بالمخاطر من التغالب والتكالب . والغيلة والاضطهاد والفوضى وتكميل النوع الانساني بالاداب والتفكير المنتج والقاح افكاره بالاخلاق العالية ومبادي العلوم التي كانت مفقودة وهي التي رقت افكار العالم ومداركه واوصلته الى ضالتكم المنشودة الى هذه المخترعات التي انتم بها معجبون .

ودونك القرءان العظيم طالعه وتدبره تجده هو الذي حرر الافكار من رق التقليد والتقييد . وفكك عنه ءاصار الاسر والتجميد . واطلق عنان التفكير للاكتشاف والاختراع واظهار مواهب الابداع . وهو الذي اثار حركة العقول وقيد كل شيء بالمعروف والمعقول . والقرءان هو الذي ازال القيود وسلاسل العبودية من عنق العقل بل جعل له هيمنة وجلالا . وصيره طليقا يتفكر في خلق السموات والارض بل جعله ملكا حاكما في المملكة الواسعة تتسابق جياده في ميدان الابتكار لتظهر مواهبها وتاتينا بطرائف الفوائد . حتى امتلات بها الموائد ، ثم انكم تعترفون ان سنة الكون ليست طفرة بل هو التدرج والتطور في المراحل الطبيعية التي لا بد من اجتيازها على ما تقتضيه سنن الكون ونواميس الوجود ولكل شيء ابانه ولا يكون الا في الوقت الذي قدر له

فأول نضوج الافكار بدأ بالنبوات والنضج لا يكون في لحظة ولابد له من زمان معدود محدود يقتضيه طلعه فيجتازه تدريجيا اذ فكر الانسان مقهور تحت نواميس الكون التي اقتضتها الحكمة الالهية وله عمر طبيعي ينمو فيه بالتجارب والاستفادة عنها واستنتاج المعلومات منها فهو كالمعدن والنبات والحيوان كل له عمر طبيعي ينضج فيه ويستكمل قوته حتى ان بعض المعادن يقضي في اجتياز عمره الطبيعي مئين من السنين ليتم فيها نضجها . وفكر الانسان كذلك لم يتم نضجه الا بالمراحل التي قد اجتازها في ازمان النبوات وبعدها على سنة كونية بتقدير عزيز عليم

وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطع مرحلة كبرى زادته نضجا واسرع السير فيها الى عالم الكمال حيث تعبدت له طريق سوي بعلوم ادبية نشأت عنها علوم رياضية (١) والقرءان فيه كثير من الاشارات الى العلوم الرياضية وقواعدها وبعض الطبيعيات ايضا المتضمن ذلك للتشويق اليها بل والحض عليها وعملا بذلك التشويق القرءاني تمهدت العلوم الطبيعية التي لولاها ما امكن لعجلات الفكر أن تسرع

---

(١) فقد حض على علم التاريخ بقوله فاقصص القصص لعلهم يتذكرون وفي قوله لعلهم يتذكرون اشارة الى فلسفته وحض على الجغرافية بقوله قل سيروا في الارض فانظروا وحض على علم الهيأة والفلك والنجوم بقوله انظروا ما ذا في السموات والارض وفيها حض على طبقات الارض بل وعلم المعدن والنبات اذ النظر الذي يحض عليه القرءان ليس مطاق النظر السطحي الغير المثمر ويدعو الى علم التشريح والطب والطبيعة بقوله وفي انفسكم افلا تبصرون الى غير هذا (محرر)

المسير وتبلغ المراد من تلك المخترعات والمكتشفات ، وعلى كل حال فان ابان ظهور المخترعات لا بد ان يتقدمه وقت طويل ينضج فيه الفكر وهو زمن النبوات ، وحين جاء الابان جاءت تلك المخترعات التي لولا تمهيد النبوات لم تكن ممكنة ولا متيسرة

ثانيا ليس من المعقول ولا من المستحسن ان يكون المعلم المهذب : حقوقيا ، طبيبا ، صيدليا ، صناعا ، ميكانيكيا ، مهندسا ، اداريا ، منظما ، جامعا لكل الوظائف ، يباشرها في ءان واحد ومن غير تدريج .

هب انه كذلك على خرق العادة المناسب للنبوة ، فليس يستطيع ان يخلق تلاميذ تكون لهم قدرة على تلقي هذه العلوم والصنائع في ءان واحد تعليما نهائيا لم يسبقه تعليم ابتداءي ينضج به الفكر الانساني ، فان ذلك يخالف سنة الكون المبني على نواميس خاصة وحركة فلكية متدة .

فالنبوات علمت العالم تعليما تمهيديا ابتدائيا لهذه العلوم التي انت معجب بها . ثم بعد اطلاق الفكر صارت تلك المعارف تنمو الى ان بلغت لما ترى ولا تزال تنمو وستبلغ الى ما هو اعجب بما يناسب الوقت الاتي والاحوال المقبلة

ثالثا لو جاء نبي بها قبل تهذيب النوع باداب النبوة لكانت محض ضرر وخطر

رابعا لسنا على يقين من ملاءمة هذه المخترعات لوظيف النبوءة ونحن نرى ماذا وقع من موبقات واتلافات للنوع الانساني بسبب الحرب العالمية الماضية ، واظن انه لو بعث بها نبي ثم وقعت تلك الحرب المشؤمة على الانسانية ذات المجزرة الكبرى التي انتحرت فيها الانسانية بيد الاختراع والاكتشاف والتي تصدعت بها اركان المدنية . وظهرت بها ثمرة تلك المخترعات التي اهتبلتم بها ، لارتد اتباعه اجمعون اكتعون ، ولما بقي لرسالته اثر ، لان فائدة الرسالة ترقية النوع الانساني ادبيا قبل ارتقائه ماديا وتشييد دعائم العمران على اساس الود والمرحمة والتعاون وعطف الانسانية والتعاون ووصلة البر والاحسان ، ولم تكن قط رسالة مبنية على الهدم والفتك والافساد والخراب والدمار ولا تكون

ولقد شاهد العالم مشهدا لم يشهده جيل سابق قط من التناحر وفساد الاخلاق واضطراب الافكار وتباغض الاقطار ، وتباعد الانظار ، والتكالب على الاضرار ، والتوثب على كل ما ليس بمشروع ، ودك كل قانون سماوي او موضوع ، وانحطاط الهمم ، وخراب الذمم وشيوع الفساد في الارض وخرق كل اجماع طبيعي ، وافساد كل اصلاح اجتماعي ، وكشف قناع كل حياء ، وتسلط الاقوياء على الضعفاء ، وانتزاع الرحمة من كل ضمير ، ولو اجال الانسان نظره في ما هو السبب الاقوى لتنوع هذه الانواع من الدواهي المخربة لما وجد لذلك من سبب اقوى من هذه المخترعات وما نشأ عنها من المنافسات في هدم اركان المدنية والانسانية ، فهل يمكن مع هذه المشاهدة ان يقال ان

العالـم اسعد حالا مع هـذا الترقي في علم المادة . بـل البشر اشقى حالا على وجـه العموم من حاله قبل ظهور هذه المخترعات . وان العداوة بين الاجناس لم تصل قط من الشدة في غابـر الدهر الى هذه الدرجة التي حصلت بهذه المخترعات ، وان القصد من النبوات هو سعادة العالم حالا ومئالا لا شقاؤه وان المخترعين انفسهم قد شعروا بهذا الخطر الذي نشأ عن اختراعهم واستكشافهم وتبريرا لعملهم يجيبون عن هذه المعضلة باجوبة واهية . ومما اجـاب به المخترع الكبير في العصر الحاضر ماركوني الايطالي مخترع الراديو ان هذا الشقاء راجع لكون الترقي العلمي لا يسير بتناسب مع سير المدنية الاخلاقية بحيث ان الانسانية لم تستوف حقها من المدنية بالنسبة لما ادركته في ميدان الاختراع والاكتشاف . وضرب لذلك مثلا بطفل تمكن من سيارة سباق سريعة ليلعب بها فانه يقع في الخطر فحالتنا بالنسبة للمخترعات الحديثة كحالة الطفل فاننا لم نتوصل بعد الى سائر طرق استعمال اختراعاتنا وزعم انه لولا هذا الاختلال في التناسب لكان الترقي العصري وسيلة لسعادة الانسانية ثم قـال ومن الصعب ان تعتبر الغازات الخانقة ووسائل التدمير والخراب من سعادة البشر ولكن ما حصل في ميدان الصناعة من اختراع ءالات زاد في راحة البشر وسمح لكثير من النـاس ان يتمتعوا بحياة لم يكن في استطاعتهم ان يتمتعوا بها من قبل واجاب عما وقع من مشاكل العمال والبطالة بما يطول . وكل هذا من قبيل الخيال في نظري . والواقع المشاهد ان مشاكل العالم تكاثرت بسبب افساد الاموال في تلكم المخترعات وما من اختراع الا ويعقبه ارقى منه فيفسد المال الذي ذهب في الاول فضخمت الميزانيات وافتقرت الامم وكثرت البطالات بل المجاعات . واما ما يتمتع به الاغنياء وارباب رؤوس الامـوال من النعيم فذلك كله نعيم فردي ويسرع زواله . وما امله مـاركوني من التمدن الادبي فذلك كلـه تحقق انه خيال ، وان ظهور المخترعات افسد اسس الاداب الانسانية وزاد في تكالب البشر وصيره عاصيا متمردا على كل ادب ورحمة وانسانية فالمخترعات العصرية المادية اذا استثنينـا المخترعات الطبـية والجراحية وامثالها مما لاسبيل لاستعماله في التدمير كان وبالا على الانسانية وعلى الآداب الحقيقية التي جاءت بها النبوات . لعمري كيف يمكن ان تكون وظيفة لنبي او يظهرها الله على يد رسول الله مبعوث للرحمة كلا ثم كلا الف الف مرة وان كانت الحقيقة مرة : فتلكم المخترعات والمكتشفات التي احتفل بها مصطفى كمال ونبذ الدين واساء للمرسلين لا تتلائم ووظيف النبي الحقيقي بحال لان اهم وظيف يؤديه الرسول برسالته هو ايجاد روابط متينة نزيهة بين افـراد النـوع الانساني واممه وشعوبه مبنية على العطف والرحمة والحب والارتفاق وانتشال الانسانية المعذبة من سفالة الاخلاق والفتك والتخريب والاستعباد وصيانة الدماء والاعراض والاموال التي جاءت هذه المخترعات لاستباحتها وانتهاك حرمتها مخالفة لما جاءت له النبوات من تثبيت دعائم العدل والانصاف والتسامح ونشر الوئام الحقيقي والاخاء الذي لا تدجيل فيه وصقل الافكار بصيقل العلم الصحيح وتحريرها من كل ضغط وارهاق .

# الملاجئ الخيرية الاسلامية (*)

## في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية

بقلم العلامة الجليل الحافظ المولى
محمد عبد الحي الكتاني دام نفعه

لا يخفى أن اقامة ملاجيء للبائسين وأصحاب العاهات والزمنى من اعظم ءاثار الحضارة ودلائل الرقي ومهما وجد هذا العطف الانساني من الاصحاء على الضعفاء ومن الاغنياء على الفقراء فذلك امارة التهذيب النفساني والتفكير الايماني والعاطفة الشريفة وقد اشتهر عند كثير من المؤرخين وغيرهم أن أول من اتخذ المستشفيات صدر الاسلام الوليد بن عبد الملك ويذكرون انه اقام في دمشق مستشفى للمجذومين لان لماء دمشق على ما قالوا خاصية دفع مرض الجذام عن اهلها فلا يصيبهم الا في النادر واذا دخله هناك غريب عن البلد تنكسر عنه عاديته او يتوقف سيره في الجسد. وفي التاريخ المظفري: وفي سنة ثمان وثمانين أمر الوليد بن عبد الملك بعمل المارستان لعلاج المرضى وهو أول من فعل ذلك وجعل فيه الاطباء وأجرى فيه الانفاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم الانفاق وعلى العميان. ه والحال ان الامام الحافظ أبا الحسن الخزاعي التلمساني بوب في كتابه تخريج الدلالات السمعية فقال: الباب الخامس في المرستان. قال: وفيه ثلاثة فصول. الفصل الاول في معناه واتخاذه وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ثم ذكر: ان مسلما خرج عن عائشة انها قالت: أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد يعوده عن قريب. وقال ابن إسحاق في السيرة: كان رسول الله عليه السلام قد جعل سعد بن معاذ في خيمة

---

وبعبارة أخصر وضع نظام للمجتمع او تجديده يتلاءم مع العقل والحكمة والاختيار غير مفروض على الناس بالجبر والقوة العسكرية الغاشمة الاثيمة التي تايدت بهذه المخترعات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

هذا وانني بغاية الاسف مضطر ان اصرح بحقيقة راهنة، وهي ان هذه المخترعات وان ذممناها من حيث انها ضد الانسانية والرحمة وحقوق الضعيف ومصالح الاجتماع. فانه يجب اقتناؤها والاخذ بها من حيث الدفاع عن البيضة ومقابلة الشر بالشر كما قال الصديق رضي الله عنه قاتلهم بما قاتلوك به ومن هنا نشأت مشكلة المشكلات التي لا حل لها وهي ( سلم . وتسليح ) وكل من المبدأين مناقض للاخر فنحن معها كما قيل.

جعلت الدنيا لنا فتنة — والحمد لله على ذالكا
قد أجمع الناس على ذمها — وما نرى منهم لها تاركا

( يتبع )

---

(*) دعا الى تاخير هذا المقال العالي عن عدد سبق تحضير مواد ذلك العدد واليوم نبادر بتحلية هذا العدد به شاكرين فضل صاحبه الشريف العلامة ومستزيدين من فيوضه على هذه المجلة

لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة قال ابن عبد البر في ترجمتها من الاستيعاب : وكانت امرأة تداوي الجرحى وتحتسب نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في بيت رفيدة حتى أعوده من قريب . وقد ذكر البلادري أن عمر بن الخطاب مر عند مقدمه الجابية من أرض دمشق بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا الصدقات وأن يجري عليهم الوقف . ووقف عثمان ابن عفان محلة سلوان في ربض القدس على ضعفاء البلد . فعلى هذا الوليد بن عبد الملك هو أول من اشتهر عنده من ذكر ذلك بالاهتمام بالمرضى والزمنى وتوسع في التوسيع عليهم اتباعا لظروف الفتح ولذا قالوا إنه أعطى لكل مقعد خادما ولكل أعمى قائدا .

وفي سنة ١٧٢ أمر المهدي العباسي أن يجرى على المجذومين وأهل السجون في جميع الافاق ، وبذلك عرفت أن القوم كانوا يخصون المجذومين بأماكن خاصة لئلا تسري العدوى منهم الى غيرهم . ويظهر مما ذكره الرحالة ابن بطوطة في رحلته ان سلطان المغرب أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي كتب الى السلطان نور الدين الشهير ينبهه على أن يبني مارستانا للمرضى من الغرباء ويحبس عليه الاوقاف ويبني الزوايا بالطرق ه إن فكرة بناء المارستانات كانت فكرة ذائعة في زمن السلطان يوسف المذكور بالمغرب وكانت وفاته سنة ٥٠٨ ومن المستحيل أن يأمر غيره بما لم يقم به هو في بلاده . وعلى طريق يوسف المذكور جرى ولده السلطان يعقوب المنصور الموحدي المتوفى عام ٥٩٥ ففي ترجمته من روض القرطاس لابن أبي زرع أنه بنى المارستانات للمرضى والمجانين الخ . قال : وأجرى الانفاق على أهل المارستانات والجذمى والعميان في جميع عمله وبنى الصوامع والقناطر والجباب للماء في البرية واتخذ عليها المنازل وبنى المنازل من سوس الاقصى إلى سويقة بني مصكود وكانت أيامه زينة الدهر وشرفا لاهل الاسلام . وفي ترجمته من المعجب في تلخيص أخبار المغرب للشيخ عبد الواحد بن علي المراكشي أنه بنى بمراكش مارستانا قال : ما اظن أن في الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة في أعدل موضع في البلد وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار والمشمومات والماكولات وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسط أحداها رخام أبيض ثم أمر له من الفرش الثمينة من أنواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت وأجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية وأقام فيه من الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يشتغل وإن كان غنيا

دفع له ماله وتركه وسبيله ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت. وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخل ويعود المرضى ويسأل عن أهل كل بيت بقوله كيف حالكم وكيف القومة عليكم إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ولم يزل مستمرا على هذه الحالة إلى أن مات رحمه الله هـ ص ١٩١ طبع مصر . وقد قال عن هذا المارستان صاحب الاستبصار في عجائب الامصار : ومن بركاته وضع دار فرج في شرقي الجامع المكرم وهو مارستان المرضى يدخل العليل فيها فيعاين ما أعد فيه من المنازل والمياه والرياحين والاطعمة الشهية والاشربة المقوية ويطعمها ويشربها فتنعشه من حينه بقدرة الله تعالى هـ

وهذا المارستان العظيم الشان من الملاجيء التي أكل عليها الدهر وشرب ودخلت تحت خبر كان ألا ان في عشرة السبعين وتسعمائة انشأ السلطان الغالب بالله السعدي المتوفي عام ٩٨١ بمراكش المارستان الذي قال عنه الافراني ظهر نفعه وأوقف عليه أوقافا عظيمة هـ ومحله اليوم بحومة الطالعة قرب السجن وقد اتخذ اليوم سجنا للنساء ومغتسلا للغرباء والمساكين وهذا حال الدهر الخؤون فسبحان مغير الاحول من حال الى حال

ولا شك ان هذا العمل من يعقوب المنصور يعد في صدر أعماله الموفقة وهو مما يكتب به الفخر التليد للمغرب والمغاربة بحروف كالجبال تعلو وتطول بطول درن وتدوم بدوامه وهذا غير عجيب عن يعقوب المنصور وذويه في باب الاعمال الخيرية والمشاريع العامة من جهادية وعمرانية وعلمية فهو يتيمة عقد الدولة الموحدية ولا أشكال وربما يستقل مصروفه الطعامي الذي حدده بثلاثين دينار يوميا ولكن عند من يجهل مقدار الدينار الذهبي على عهد الموحدين فانه كان لهم دينار كبير وزنا وعملا على ان اثمان الحاجيات في ذلك الزمان غيرها في هذا الزمان وإذا أردت الايضاح فقس ما كان يأتي به الدينار منذ خمسين سنة وما يأتي به اليوم يظهر لك الفرق ويتضح لك الحال جليا فافهم فأن الدرهم الشرعي كان في أول هذا القرن ربما يكفي لمصروف العائلة تقريبا وهكذا قس الى زمن الموحدين فكيف بالدينار

وما ذهبت دولة الموحدين بخيرها الكثير وشرها القليل حتى برقت بارقة الدولة المرينية ذات الحضارة والنضارة والتأسيسات العمرانية والعلمية بما أربى على عمل السابقين ففي ترجمة السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني المتوفي سنة ٦٨٥ دفين شالة أنه لما استقام له الامر بنى المارستانات للمرضى والمجانين وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجونه من الاغذية والاشربة ورتب لهم الاطباء لتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية. وأجرى على الكل المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالجذمى والعمي والفقراء ورتب لهم مالا معلوما يقبضونه في كل شهر من جزية اليهود كما بنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الاوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله نفعه الله بقصده انظر القرطاس والاستقصا . ص ٣٢ ج ٢

وقال الحافظ أبو عبد الله ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن ، في مئاثر أبي الحسن المرينى إنه جدد المارستان بفاس وغيره وكان له به أعظم إعتناء وابو الحسن هذا هو الذي يقول عنه أبن الخطيب في رقم الحلل

باني المباني النخبة الشريفة بمقتضى همته المنيفة
وتارك المدارس الظريفة شاهدة بأنه الخليفة
وقاطع الدهر بغير لهو في مجلس معظم أو بهو
أما لتدبير وعلم يدرس أو لبلاد من عدو تحرس
أو لإياد في عباد تغرس أو لثواب ورضا يلتمس
أو نسخ قرءان وعرض حزب أو عُدة معدة لحرب

وقد أحيى سبيله من بعده ولده السلطان أبو عنان المتوفي سنة ٧٥٩ والولد سر أبيه وذكر ابن بطوطة في رحلته ان السلطان أبا عنان المريني قد بنى في جميع بلاد المغرب مارستانات ولعل منه المارستان الذي ذكره : ابن الخطيب في كتابه نفاضة الجراب فيمن جمعني معه الاغتراب حين دخل لآسفى عام ٧٦١ قال . وفي هذه البلدة المدرسة والمارستان وعليها نفحة من قبول الله قال وتردد إلي بها صاحب السوق ومقيم رسم المارستان الشيخ أبو الضياء منير بن احمد الهاشمي الجزيري

أما مارستان فاس الذي بجوار سوق العطارين وسوق الحناء فهو مارستان خاص اليوم بالحمقى والمعتوهين ويغلب على ظني أنه من تأسيسات بني مرين وسمي بباب الفرج تفاؤلا بأن يحصل الفرج لمن يحل به وقد سبق عن صاحب الاستبصار أطلاق باب فرج على مارستان مراكش في زمن الموحدين ويوجد في كثير من جهات افريقيا مواضع أ وقفت لمثل هذا الغرض أطلقوا عليها فرج كما في الجزائر وغيرها

وأول من حفظ لنا التاريخ إسمه من نظار المارستان الذي بفاس العالم الصالح أبو فارس عبد العزيز ابن محمد القروي (بتقديم الراء على الواو) الفاسي أحد شيوخ العلم بفاس المتوفي سنة ٧٥٠ وهو صاحب التقييد على المدونة المنسوب لابي الحسن الصغير كما في مفتاح الشفا لانه كان أكبر أصحابه كما في إبتهاج القلوب وهو مترجم في درة الحجال وجذوة الاقتباس وكفاية المحتاج ونيل الابتهاج وغيرها من كتب الرجال وقد ذكره الشيخ بناني في حواشي الزرقاني على المختصر في باب الجنائز عند قول الشيخ خليل أونسي معه أن عبد العزيز القروي المذكور كان ناظرا على المرستان بفاس يتولى تجهيز الموتى بيده وقد جيء ذات يوم بميت غريب فلما أراد غسله وجد معه بضاعة من الفضة

فيؤخذ من هذه القضية ان هذا المرستان بفاس كان قبل ستمائة وست سنوات له ناظر وهو العالم الصالح المذكور وترجم في الجذوة لمحمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي الغرناطي فقال كان لبيبا لوذعيا جامعا للخصال من خط وكتابة ونظم وشطرنج ثم تولى النظر على المارستان بمدينة فاس في ربيع ٢ عام ٧٥٤ ثم أرخ وفاته سنة ٧٥٧ فهاذا يدل على أنهم كانوا يختارون لنظارة أحباس المارستان أهل العلم والادب والنبل

وفي جغرافية ابن الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي ما يفيد انه كان توظف وهو صغير عدلا بالمستشفى الكبير بفاس عدة سنين باجرة عينها وكان ذلك في ايام الدولة الوطاسية التي يعبر عنها هو بالدولة المرينية لانهما من اصل واحد . ويفهم من كلام ابن الوزان المذكور انه كانت بفاس على عهده اول القرن العاشر الهجري عدة مستشفيات وانها كانت نهاية في الرونق والاتقان وكل غريب دخل المدينة له ان يقيم بهذه المستشفيات ثلاثة ايام وتوجد خارج المدينة عدة مستشفيات لا تقل اتقانا

# تفصيل وبيان

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر

كانت نشرت في هذه المباركة أجوبة عن أسئلة ثلاث وردت عليها وذلك في عددها الاول من مجلدها الثالث بصحيفة ٣٠ وحيث وقع إطلاق يجب تقييده في السؤال الاول واجمال ينبغي بيانه في السؤالين التاليين فقد رأيت إعادة الاسئلة مع أجوبتها مفصلة مبينة واليك هي

س (١) ما قولكم في إمام جمعة تأخر عن الحضور بالجامع يوم الجمعة حتى أيس من حضوره الجماعة وقرب وقت العصر فقدموا من بينهم من صلى بهم الظهر لعدم من يحسن الخطبة منهم وبفراغهم من الصلاة جاء الامام فهل يؤدون معه صلاة الجمعة أم لا ؟

(الجواب) إن هؤلاء الجماعة معذورون في تركهم الجمعة وأدائهم لها ظهرا حيث كاد يخرج وقت الجمعة الاختياري ولم يكن فيهم من يحسن الخطبة إذ من المعلوم أن الخطبتين شرط في صلاة الجمعة صحة ووجوبا . أما الصحة فهو بمعنى ان الجمعة لا تصح بدونهما ، وأما وجوبا فلانه إذا لم يوجد في الجماعة من يحسنهما بشرطهما وهو كونهما عربيتين سقط وجوب الجمعة عنهم قال الشيخ عبد الباقي ما نصه فإن لم يعرف الخطيب عربية لم تجب اه وقال الشيخ عليش في شرحه على المختصر ما نصه فإن لم يوجد فيهم من يحسنهما عربيتين فلا تجب الجمعة عليهم ثم قال فالقدرة على الخطبتين من شروط وجوب الجمعة اهولا ينتظرون الامام إلى دخول وقت العصر على مذهب ابن القاسم لان الجمعة كالظهر لا يجوز تأخيرها عن وقتها الاختياري إلا لعذر مبيح نعم لما جاء إمامهم وقد صلوا الظهر فانهم يصلون معه الجمعة إن لم يدخل وقت العصر لتبين إستعجالهم بالظهر أما إن دخل وقت العصر فانهم يعيدونها معه بنية الجمعة تنفلالا وجوبا حيث سقط فرضهم بفعل ما وجب عليهم أما الامام فلا تجزيه إلا إذا كان معه جماعة غيرهم لم يصلوا تستقل بهم الجمعة

س (٢) ما قولكم في واقعة حال صورتها أنهناك قرية لا تقام بها الجمعة يصلي أهلها الجمعة في قرية أخرى تبعد عنها نحو الاربعة أميال مات بعض أهل القرية الاولى يوم جمعة فرأى أهل قريته ان الاولى

---

عن التي بداخلها قال وكان لها قبل مداخيل وافرة ولكن ايام حروب ابي سعيد المريني افقرتها وذلك ان السلطان ابا سعيد عثمان بن ابي العباس بن ابي سالم المريني المتوفى سنة ٨٢٣ احتاج الى المال واشار عليه شيطان ببيع اوقاف هذه الملاجيء فعارضته الامة اشد معارضة ووقفت في وجه ما يريد فاجابها احد وزرائه بقوله ان هذه الملاجيء نفسها واوقافها من صدقات اجداد الامير وحيث ذلك كذلك فللملك ان يفوت هذه الاوقاف ويصرفها في مصالح الملك فاذا انتهت الازمة اعاد شراء الاملاك فبيعت هذه الاوقاف ماسوفا عليها وكانت عاقبة السلطان خسرا فمات مقتولا داخل قصره ، ولم ترجع المستشفيات الى حالها

(يتبع)

الاشتغال بمؤون تجهيزه ودفنه وإن كان ذلك مؤديا بهم الى ترك صلاة الجمعة لانهم إذا أخروا ذلك الى ما بعد صلاة الجمعة تأخر أمر الجنازة إلى ما بعد العصر وربما لم يفرغوا منه إلا بعد الغروب وأراد إمام قرية الجمعة تأخير أمر الجنازة إلى ما بعد صلاة الجمعة ليتسنى الجمع بين الفضيلتين وتنازع الفريقان في ذلك فما وجه الصواب في هذه القضية ؟

( الجواب ) ان ما رآه اهل القريـة من المبادرة بتجهيز الميت وان ادى القائم به الى ترك صلاة الجمعة هو الحق سواء خيف على الميت التغير بسبب التاخير ام لم يخف عليه ذلك اما في الصورة الاولى فلقول حافظ المذهب ابن رشد . ومما يبيح التخلف ( اي عن صلاة الجمعة ) الاشتغال بجنازة ميت ينظر في امره اذا لم يجد من يكفنه وخشي عليه التغير ان اخره لصلاة الجمعة اهـ . واما في الصورة الثانية فلقول الامام ابن الحاج في المدخل وهو المعتمد كما قاله غير واحد ما نصه قد وردت السنة ان من اكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه وكان بعض العلماء يحافظ على السنة اذا جاؤا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويامر اهله (١) ان يخرجوا الى دفنه ويعلمهم ان الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة اهـ قال العلامة الاجهوري ما نصه ظاهر المدخل ان السنة ما ذكر حيث دخلوا به وقت الخطبة وان لم يخش تغيره ولا خشي عليه الضياع اهـ فاذا كان تاخير دفن الميت بمقدار صلاة الجمعة بدعة يتحاشى عنها فتاخيره الى الغروب اشد ابتداعا كل هذا بالنسبة للقائمين بامر الميت ، خصوصا اذا اضفنا الى ذلك كله عدم وجوب صلاة الجمعة على اهل قرية الميت حيث كان بين قريتهم وقرية الجمعة مسافة لا يجب عليهم معها السعي لصلاة الجمعة

س (٣) ما قولكم في حادثة تشبه الحادثة قبل هذه غير ان قرية الميت تقام بها الجمعة والخطيب هو الغاسل والوقت عند الزوال ايهما اولى للامام تقديم الجنازة وتاخير صلاة الجمعة الى وقت اصفرار الشمس ام تقديم صلاة الجمعة وتاخير الجنازة الى الاصفرار

( الجواب) ان السنة في الجنازة ان لا تاخر كما تقدم عن ابن الحاج في المدخل والامام يصلي الجمعة بالناس ويتولى غسل الميت غيره الا اذا لم يوجد من يحسنه سواه فهاهنا يبادر بغسل الميت وجوبا ان خشي على الميت التغير واستحبابا ان لم يخش تغيره ويؤم غيره في صلاة الجمعة الا اذا كان اهل القرية كلهم اميين لا يحسنون الخطبة فيصلونها ظهرا في آخر وقتها الاختياري ويعيدونها جمعة تنفلا مع الامام وتجزئه هو اذا كان معه جماعة غيرهم لم يصلوا تستقل بهم الجمعة وذلك ما لم تغرب الشمس فان قدم الامام صلاة الجمعة على غسل الميب في الصورة الاخيرة فليصل على الميت قبل الاصفرار او بعد الغروب لكراهة الصلاة على الميت بعد الاصفرار وحرمتها وقت الغروب والله اعلم

علي النيفر

(١) يظهر من التعليل بالمحافظة على السنة ان التقييد بالاهل خرج مخرج الغالب والمراد من يقوم بدفن الميت وان لم يكن من اهله اهـ مجيب

# التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

## القضاء الشرعي

« ٢ »

نستانف حديث القضاء الشرعي بتونس من حيث انتهائه في العدد الماضي فنقول لما دخلت الايالة التونسية في طاعة ءال عثمان اواخر المائة العاشرة عاد المذهب الحنفي للظهور واخذ مركزه في المقدمة لانه كان مذهب ولاة الامر ولا زال كذلك الى هذا الزمان فامراء الدولة المرادية كانوا من الاحناف وءال البيت الحسيني خلد الله ملكهم من نسل الترك والترك امة حنفية حنيفية وبديهي ان الترك اتخذوا لهم قاضيا من اهل مذهبهم عند اخذهم مقاليد الامور بايديهم كانوا ياتون به من اسلامبول ثم يبدلونه بعد ثلاث سنين بقاض ءاخر من بلادهم وهلم جرا وكان سيدنا عمر يبدل قضاته بعد اجل معلوم كعامين او نحو ذلك وهكذا كانوا في الدولة الحفصية فان متولي القضاء في مدة السلطان ابي عمرو عثمان لا يبقي في خطة القضاء بجهة معينة اكثر من ثلاث سنين ثم ينتقل لغيرها الى ان يتصدى لقضاء الحاضرة ثم يتصدى للفتوى والشورى بين الناس وما اوقع لفظ الشورى في الاسماع ترتاح لذكره النفوس وتتول لاعطر بعد عروس . قال الشيخ محمد بيرم الثاني في شرح رسالة المفتين : اول المفتين بتونس على المذهب الحنفي هو الشهير برمضان افندي وقد كان قدم اليها من الروم ( اي بلاد الترك ) بوظيفة القضاء على العادة ايام يوسف داي التي كان بدؤها عام تسعة عشر بعد الالف فلما استوفى مدته ورام العود اليها منعه ذلك الداي وقلده الفتوى اه قلت اول قاض حنفي انتصب عند الفتح العثماني فيما حكاه المؤرخ حسين خوجة في بشائر اهل الايمان هو المولى حسين افندي الحنفي عينه لخطة القضاء الوزير سنان باشا في جملة الانظمة التي وضعها عند ترتيب ديوان الحكم في سنة ٩٨١ وبعد ان اتم مدته قام مقامه قاض تركي ءاخر لمدة ثلاثة سنين وهلم جرا الى ان ءالت خطة القضاء للمولى علي افندي من فقهاء الترك وكان اصله من الجزائر قال في بشائر اهل الايمان : انه جاء من اصطنبول الى تونس بوظيفة القضاء فطلب نائبا ( مالكيا ) فلم تطب نفسه بنائب من علماء الوقت الا بالشيخ ساسي نوينه (كان موجودا على راس الالف ) فطلبه للنيابة فابى فراوده فامتنع فقال له ءاخر مرة ان لم تتول النيابة لامتين بقتلك على مذهبك فلما سمع مقالته لم يسعه الا الامتثال فتولى النيابة المذكورة اه وهكذا استرسل الحال بولايه قاض جديد من الترك عند شغور الخطة بانتهاء مدة متوليها الى ان تولاها الشيخ محمد قاره خوجه الخ تولاها الشيخ محمد قارة خوجة المشهور ببرناز ومعنى برناز-

ذو الانف الطويل في اللسان التركي ( والعامة يسمونه خشمون في تونس ) وبرناز هذا كان من ابناء تونس وابوه من رجال الفتح العثماني فكان هو اول قاض حنفي تونسي عدل به اذ ذاك عن استدعاء قاض من الترك ومات الشيخ برناز قتيلا سنة ١٠٨٤ فيما حكاه صاحب كتاب بشائر اهل الايمان، على انهم لم يجعلوها قاعدة مطردة، الا ابتداء من مدة الباشا علي باي الاول باشا فانه انف ان تكون ولاية قاضي الحضرة بغير اختياره وتعلل بان اغلب سكان البلاد من العرب لا يحسنون اللغة التركية فهم لا يفهمون مايقوله القاضي التركي ولا هو بدوره يفهم ما يقولون ولا هو عليم باخلاقهم واحوالهم ومعرفة ذلك من شروط القاضي فعند ذلك فوض له الباب العالي باختيار القاضي من العلماء الحنفية بتونس فكان اول قاض حنفي تولى القضاء بها باختيار الباي هو الفقيه الشيخ احمد الطرودي في سنة ١١٥٧ ثم الحق به قاض على المذهب المالكي التركي ولم يكن قبل ذلك للجماعة المالكية سوى نائب قاض ينفذ عنه احكامه القاضي الحنفي واول من تولى نيابة القضاء المالكي على عهد حكومة الاتراك هو الشيخ ساسي نوينة كما سبقت الاشارة لذلك واسترسلت مباشرته لهذه النيابة في الدولة المرادية وممن تولاها بعده في العصر الحسيني الشيخ احمد الرصاع وابنه الشيخ قاسم وحفيده الشيخ حمودة باشروا نيابة القضاء المالكي على عهد المولى حسين بن علي وباشرها بعدهم الشيخ حمودة الريكلي وكانت ولايته سنة ١١٥٥ واول من تولى قضاء المذهب المالكي بالاستقلال هو الشيخ محمد سعادة (١) كان قاضيا مالكيا بتونس في وقت

---

ترجم له في بشائر اهل الايمان ونوه بقدره ونقل شيئا كثيرا من اخباره ورحلته وترجم له باوسع من ذلك في كتاب مسامرات الظريف ونقل نتفا من ادبه وقال انه تقدم للقضاء ثم للفتوى ثم لرئاسة اهل الشورى يعني كبيرا للمفتين على المذهب المالكي وقال ان الباشا علي باي امتحنه بالعزل من جميع خططه وسماها له واحدة واحدة فقال له الشيخ سعادة بقي عندي وظيف ءاخر لم تعزلني منه فقال له الباشا ما هو فقال له الشيخ وظيفة العلم الذي في صدري وبعد مدة اعاد عليه جميع وظائفه — قلت كان فقيها اديبا ناظما ناثرا له باع طويل في التاريخ من ذلك اخبار دولة المولى حسين بن علي وابنه المولى محمد الرشيد باي ومن اجلها وضع كتابه المسمى قرة العين تضمن ارجوزة تربو على المائتي بيت في معنى الصادح والباغم في الحكم والامثال وكان مرجع اهل العلم في الفتوى يدلك عليه هذه الابيات التي خاطبه بها العلامة الاديب الشيخ احمد العصفوري في نازلة في العمرى أفتى فيها شيوخ العلم وطلب منه الافتاء فيها :

ارى المفتين قد وضعوا خطوطا ... بفتياهم لنا حصلت افادة
وما زبرت يداه الشيخ حتى ... نراها مثل واسطة القلادة
لقد سبقت سعادتنا يقينا ... اذا ختمت بخط من سعادة

وقد اجابه عن سؤاله بما يشفي الغليل من ذلك قوله

تاملت السؤال وما علاه ... من العمرى المسطرة المفادة
وما زبر الشيوخ امام رقمي ... ويعناه لسائلهم افادة
فالفيت الجميع اجاد فيما ... اجاب به واغنى عن زيادة

له حاشية على شرح الاشموني سماها تقرير المسالك وله نظم بديع في مناسك الحج وله غير ذلك توفي رحمه الله سنة ١١٧١

واحد مع الشيخ احمد الطرودي قاضي الحنفية على عهد الباشا علي باي الاول كما اسلفنا فيكون النظام الشرعي المزدوج الموجود لهذا الزمان ارتكز اساسه المتين في العقد السادس من القرن الثاني عشر ويكون قد انقضى عليه قرنان كاملان فهو نظام باركت عليه يد الدهر بمسحة الخلود. على ان وجود قاضيين من مذهبين مختلفين للحكم في وقت واحد ببلد واحد كان موجودا بالقيروان في عصر الاغالبة فان الامير زيادة الله ابراهيم بن الاغلب استقضى في وقت واحد ابا محرز الكناني من ائمة المالكية واسد ابن الفرات من ائمة الحنفية وقد نقل القاضي الشيخ محمد سعادة المتقدم ذكره ان الامام ابن عرفة افتى بجواز تولية قاضيين ببلد واحد على ان يخص كل واحد منهما بناحية من البلد او نوع من الحكم فيه لان هذه الولاية ( اي القضاء ) يصح فيها التخصيص والتحجير ولو استثنى في ولايته ان لا يحكم على رجل معين صح ذلك اه قلت وازيدك اخرى وهو انه وجد بمصر في سنة ٦٦٣ على عهد الملك الظاهر بيبرس اربعة قضاة كلا منهم متمذهب بمذهب .

هذا وكان لجانب كل من القاضي الحنفي والقاضي المالكي ولجانب نائب القضاة ايضا مفت من اهل مذهبه يرجع اليه عند الاقتضاء فكان اول مفت على المذهب الحنفي بعد الفتح العثماني الشيخ رمضان افندي واول مفت مالكي الشيخ سالم النفاتي مؤسس مجد البيت النفاتي (١) وكان جلوسهم بدار الباشا التي اقام على انقاضها الوزير مصطفى بن اسماعيل في سنة ١٢٩٦ داره بتونس وبمكانها اليوم مدرسة البنات المسلمات الواقعة بنهج الباشا وهذا النهج اطلق عليه المجلس البلدي اذاك اسم نهج المصطفية نسبة لاسم الوزير السالف الذكر فذهبت هذه التسمية الجائرة ادراج الرياح ولم يحفل بها احد وبقي نهج الباشا على تسميته كما كان وكان انعقاد مجلس الشيوخ للحكم صباح الخميس من كل اسبوع وهي سنة حفصية قررتها الدولة المرادية وجرى بمثلها العمل في الدولة الحسينية الى سنة ١٢٥١ وفيها اقيم شيخ اسلام للجماعة المالكية اتماما للتسوية المعنوية بعد التسوية الحسية الموجودة من قبل بين علماء المذهبين الشقيقين والغي لقب الباش مفتي بتونس وبطل استعمال العنوان الجليل المتلبس بلقب كبير اهل الشورى الذي مضت عليه القرون واذاك تقرر انعقاد المجلسين كل منهما بانفراده فاحتفظوا بيوم الخميس للسادة الحنفية كما في القديم وعينوا يوم الاثنين لاجتماع السادة المالكية . واول عهد باجتماع القاضي والمفتي في مجلس واحد وهو مجلس الحكم كان في زمن الدولة المرادية وفي مدة مراد باي الثالث الذي تولى الحكم في سنة ١١١٠ اضافوا للمفتي الحنفي وهو الشيخ عبد الكريم درغوث مفتيا

---

(١) من اشهرهم واوسعهم عارضة في العلم المفتي الشيخ علي النفاتي قال في مسامرات الظريف انه اتى بخط شريف من دار الخلافة في تنفيذ حكم كل من القاضي والمفتي من غير ان يسال واحد منهما عن نص المسالة بعد ان كانت العادة ان الخصم يسال كل عالم ويطلعه على المسالة وله ان يعارض بها القاضي او المفتي في مجلس حكمه وبذلك حصل للشيخ صيت عظيم وتوفي في طريق الحج سنة ١٠٤٩ اه

ثانيا حنفيا فكان هو الشيخ علي الصوفي وسنعود للكلام عليه عند التعريف بمسند مشيخة الاسلام الجليلة ثم توسعوا بالزيادة في عدد المفتيين الحنفيين فكانوا اربعة ثم خمسة في اواسط القرن الماضي وكانت الفتوى في الدولة الحفصية بدرجتين فتوى بالنص والكتاب المسطور وهي الدرجة الاولى وفتوى بالنص والقول المنثور ( الشفاهي ) وهي الدرجة الثانية فالغيت هذه وابقيت الاخرى للجميع (١) وعلى ذلك القياس كان العمل بالنسبة لاهل المذهب المالكي فقد كان لهم من المفاتي مثنى وثلاث ورباع قال في مسامرات الظريف انهم كانوا ثمانية في الدولة المرادية وزيادة على ذلك فان قاضي المحلة في الدولتين الحفصية والمرادية كان من فقهاء المالكية ومنهم ايضا كان قاضي باردو في الدولة الحسينية وباردو كان موجودا في المائة السابعة وما بعدها بعنوان دور وبساتين ومتنزهات لبني حفص سكنه بعدهم المراديون بالعنوان المذكور فلما افضت الولاية للمولى حسين بن علي اتخذه دار ملك ونصب به قاضيا مالكيا كما اسلفنا وكان هؤلاء القضاة هم المترشحون لقضاء الجماعة بتونس وتبعا لذلك كان قاضي الفريضة من المالكية ايضا وكان يجلس ببيت المال وبيت المال كانوا يسمونه بيت الحساب على عهد الدولة الحفصية فيما حكاه الفقيه الزركشي مما يدل وانه كان لهم ديوان منتظم الاحوال لضبط حساباتهم وكان القائم على راس هذا الديوان وزير المال ويسمونه في مصطلحهم صاحب الاشغال ويكتب عليه شاهد لقبه شاهد التنفيد وفي كتاب ابتسام الغروس لما توفى ولي الله سيدي احمد بن عروس تولى جنازته صاحب الاشغال بامر السلطان محمد المنتصر الحفصي . وعلى قياس قاضي الفريضة كان قاضي الاهلة وما مازالت احكام الرؤية حتى في هذا الزمان جارية على قواعد مذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه لان لان ازدواج الحكم بما انزل الله في حالة وجود مذهبين قائمين في وقت واحد ببلد واحد قاد اهل الامر والنهي للبحث عن ايسر الطرق لاقامة قسطاس الشريعة بين الناس

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر او رشفا من الديم

لذلك جعلوا النظر في بعض المسائل الشرعية من علائق المذهب المالكي كما جرى بمثله العمل في بعض المسائل الاخرى التي خصوها بالمذهب الحنفي كالتحابيس التي يكتفي في انعقادها قولك حبست على ما افتى به الامام ابو يوسف رضي الله عنه وهذا اقصى درجات اليسر اذ يتم المقصود منه بكلمة واحدة

ولا يوجد في زماننا هذا ادنى ميز او شبه ميز بين قاضي المذهبين فهما اخوان في الله شقيقان في العلم مستويان في الحظوة والحظوظ متحدان في الحقوق والواجبات حصل بينهما هذا التساوي

(١) هي الفتوى بمشهور المذهب حتى اذا اختلف الشيوخ في الراي كان الامير حكما بينهم يعني بترجيح شق على شق بصفته قاضي القضاة التي هي من حقوقه الشرعية

الحق كحصوله بين بقية شيوخ المذهبين في عهد المشير احمد باي الاول سنة ١٢٥٦ والى ذالك يشير شيخ الشيوخ وطود الرسوخ ابو اسحاق ابراهيم الرياحي بقوله

جرى لبن من ثدي احمد فارتوى    بـه حنفي في الاخاء ومالكي

واكد الباي هذه المنقبة الخالدة بالاذن لقاضي المالكية يومئذ وهو صديقه الشيخ محمد بن سلامة باتخاذ طابع له كقاضي الحنفية . نعم ان الوزير خير الدين اجرى في اواخر القرن الماضي جراية استثنائية لشيخ الاسلام واخرى بنحو نصفها للقاضي المالكي ولكن ذلك كان في مقابلة مشاركتهما لـه في خدمات خصوصية اثنـاء انجازه لمشروع الاصلاح الـذي قـام بـه يومئذ لفائدة البلاد التونسية على ان كافـة شيوخ المجلسين كانوا في ذلك الزمان وقبله متمتعين بمنح استثنائية كثيرة منها تزويد من يتقدم منهم للخطة الشريفة بفرس وسرج لركوبه ولقد رايت في كناش الشيخ الجد ان البـاي بعث لـه « بفرس هشوش وحكة نشوق بعطر الفشوش » (١) ولما راج سوق العربات وهي الكروسة (٢) صارت الدولة تسعفهم بعربة لركوبهم فـقد رايت في بعض التـقاييد ان البـاي احسن بثلاثـة ءالاف وستمائة ريال للقاضي الشيخ الطاهر النيفر بعنوان كروسه لركوبه في عـام ١٢٩١ وكانوا يعطونهم الجـوخ ( الملف ) اللازم لكسائهم والعلف اللازم لدوابهم وكان من يلتحق منهم بالـدار الاخـرة تتولى الدولة القيام بشئون مأتمه تنويهـا بشانه واحتراما لمنصبه الشرعي فكان مصروف جنـازة المفتي الشيخ علي العفيف في رجب ١٢٩٢ ريالات ٢٤٨٠ على يـد شيخ المدينة . فان قلت ان سلطة القاضي الشرعية كانت شاملة جامعة في القرون المتقدمة وهاهي اليوم باتت منحصرة في قانون الاحـوال الشخصية وفي نوازل الاستحقاق بين الرعايا قلنا ان هذا التجريد لم يكن من عمل اهل جيل واحد بل هو نتيجة تطورات كثيرة في اجيال متتابعة افضت بنا لما نحن عليه ومن المعلوم ان سفينة الدهر تجري في مجاري المشيئة فحسبنا الدعاء بان يكون مرساها على ساحل السلامة ومهما كان الحال فقد بقي للقاضي الشرعي ولشيوخ الفتوى زيادة على وظائفهم القضائية مهمتهم الدينية وهـذه ولله الحمد لازالت في قـرار مكين واسعة المدا سميعة النداء ملتحفة برداء التعظيم والاجلال معتزة بالسودد والكمال وسنوفيها حقهـا ان شاء الله في العدد القابل مع التعريف بمسندي مشيخة الاسلام وعلاقة اهـل العلم باهل الدولة ونختم كلامي اليوم بسرد اسماء مشائخ المذهبين الذين تسنموا ذروة القضاء الشرعي بتونس في بحر المائتي سنة المتصلتين بعامنا الحاضر مع بيان تاريخ الولاية والحمد لله في البداية والنهاية

---

(١) هذه الحكة كانت مرصعة بالحجارة الكريمة والشيخ الجد كان زاهدا في دنياه وردها الحديث واكله ما حضر فدفعها لزوجته وهذه باعتها واشترت بثمنها دارا بجبل المنار

(٢) لفظ معرب من Carrozza في اللغة الطليانية . قال في المونس ان ظهـور الكروسة بتونس كان على عهد الدولة المرادية جيء بها ( من اروبا ) لركوب حمودة باشا المرادي

## القضاة الحنفية

| الاسم | | السنة |
|---|---|---|
| الشيخ احمد الطرودي | تولى سنة | ١١٥٧ |
| » يوسف القفال | » | ١١٦١ |
| » مصطفى الطرودي | » | ١١٦٧ |
| » علي الجري بن عمر | » | ١١٧١ |
| » عمر بوشناق | » | ١١٧٢ |
| » خليل خوجه | » | ١١٧٧ |
| » مراد بوسيكه | » | ١١٨٠ |
| » محمد قاره باطاق | » | ١١٩٠ |
| » محمد بيرم الثاني | » | ١١٩٢ |
| » حسونه الترجمان | » | ١١٩٣ |
| » محمد بيرم الثاني (مرة ثانية) | » | ١١٩٤ |
| » حسين برناز | » | ١٢١٥ |
| » احمد بن الخوجه الاول | » | ١٢١٩ |
| » مصطفى دنقزلي | » | ١٢٢٩ |
| » علي الدرويش | » | ١٢٣٢ |
| » محمد بن الخوجه | » | ١٢٥١ |
| » محمود بن باكير | » | ١٢٥٩ |
| » مصطفى بيرم | » | ١٢٦٢ |
| » احمد بن الخوجه الثاني | » | ١٢٧٧ |
| » حسن بن الخوجه | » | ١٢٧٩ |
| » محمد البارودي | » | ١٢٨٥ |
| » محمد بن مصطفى بيرم | » | ١٢٩٠ |
| » محمود بيرم | » | ١٣٠٩ |
| » اسماعيل الصفايحي | » | ١٣١٥ |
| » محمود بن محمود | » | ١٣٢٥ |
| » محمد بن القاضي | » | ١٣٣١ |
| » محمد رضوان | » | ١٣٣٥ |
| » الطيب بيرم | » | ١٣٤٩ |
| » محمد دامرجي | » | ١٣٥١ |

## القضاة المالكية

| الاسم | | السنة |
|---|---|---|
| الشيخ محمد سعادة | تولى سنة | ١١٥٧ |
| » محمد الوافي المثلوثي | » | ١١٧٠ |
| » محمد الكافي | » | ١١٧١ |
| » ابراهيم المزاج | » | ١١٧٢ |
| » سعيد الشيبوني | » | ١١٧٥ |
| » محمد سويسي | » | ١١٩٩ |
| » محمد الطويبي | » | ١٢٠٤ |
| » عمر المحجوب | » | ١٢١٧ |
| » اسماعيل التميمي | » | ١٢٢١ |
| » احمد بوخريص | » | ١٢٣٠ |
| » اسماعيل التميمي مرة ثانية | » | ١٢٣٠ |
| » سالم المحجوب | » | ١٢٣٤ |
| » الشاذلي بن المؤدب | » | ١٢٤١ |
| » البحري بن عبد الستار | » | ١٢٤٢ |
| » محمد السنوسي بن منيه | » | ١٢٥٤ |
| » محمد بن سلامه | » | ١٢٥٥ |
| » محمد البناء | » | ١٢٦١ |
| » محمد النيفر | » | ١٢٦٣ |
| » الطاهر بن عاشور الاول | » | ١٢٦٧ |
| » صالح النيفر | » | ١٢٧٧ |
| » محمد النيفر | » | ١٢٨٠ |
| » الطاهر النيفر | » | ١٢٩٠ |
| » الطيب النيفر | » | ١٣١١ |
| » محمد القصار | » | ١٣٢٥ |
| » الطاهر بن عاشور الثاني | » | ١٣٣١ |
| » الصادق النيفر | » | ١٣٤١ |
| » صالح المالقي | » | ١٣٤٧ |
| » الطيب سياله | » | ١٣٥٢ |

صفحة من تاريخ تونس

صلة تونس بالدولة العلية

# بعثة خير الدين للاستانة

## في سنتي ١٢٨١-١٢٨٨

« ٢ »

للعالم امير الامـراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

« ٥ »

مكتوب من الوزير الاكبر مصطفى خزندار

الى الوزير خير الدين مؤرخ بيوم الاحد في ٢٠ رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

الهمام المفخم الوزير امير الامراء وعمدة اعيان الكبراء السيد خير الدين ادام الله تعلى حراسته وحفظه اما بعد السلام التام عليكم ورحمة الله تعلى فان مكتوبكم المؤرخ بيوم الثلاثاء سابع شهر التاريخ بلغنا وكذلك مكتوبكم الخصوصي وكذلك ما الحقتموه بالبطاقة من تعيين يوم مقابلة مولانا السلطان وعلمنا جميع ما تضمنته وشكرنا الله تعلى اولا على عافيتكم ثم على ما حصل لكم من العناية والاكرام وسر مولانا ايده الله تعالى بجميع ذلك وقد كاتبناكم قبل هذا بما يغني عن الاعادة والواصل لكم صحبة هذا مكتوب من دار ارلانجي لنائبها باسلامبول ليكون لكم ( كريدي ) بمائتي الف فرنك تاخذها هناك اذا لزمكم ذلك الخ ( لا يهم موضوعنا نقل البقية )

---

هذا ما بلغ اليه جهد المقل من البحث والتحري في ضبط اسماء البعض من هؤلاء الشيـوخ ولا سيما اهل الطبقة الاولى الذين تولوا القضاء في اواسط القرن الثاني عشر اذ من المحتمل ان تواريخ واسماء بضعة نفر منهم غير مطابقة للواقع وكان من العسير علينا تحرير ذلك كما هـو الحال في اسم الشيخ الثالث في السلسلة المالكية لاني سمعت من بعض شيوخ المذهب من يشك في صحة نسبه ويقول ان لقبه ربما كان القاضي لا الكافي كما اني لست على يقين من صحة اسم الشيخ الخامس في تلك السلسلة وهو الشيخ الشيبوني اذ لم نجد له ذكرا فيما لدينا من كتب التراجم التونسية وهي قليلة جدا بالنسبة للقرنين الحادي عشر والثاني عشر

سقى لحد من بانوا وقد ضاجعوا الثرى ... غمام الرضى حتى يرى روضة خضرا
وعـامـل من لـم يأتــه اجـل ... بلطف له في هذه الدار والاخرى

محمد بن الخوجة

« ٦ »

## مقتبس من مكتوب صادر من المستشار محمد البكوش

بتاريخ الثامن والعشرين من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله — سيدي ومعتمدي بعد اهداء السلام وتقبيل الايدي الكرام واداء ما يجب من الاجلال والاعظام ......

اما اخبار تونس الدارجة في شان وجهة السيادة فانها مسرة للغاية والشكر لله تعلى وشائع عند الاجانب واهل البلاد ان الاكرام الذي حصل للسيادة لم يحصل لاحد الا لاسماعيل باشا مصر ...

« ٧ »

## نص مكتوب من المؤرخ الاكتب احمد بن ابي الضياف

حرر يوم الثلاثاء في ٢٨ رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله — وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

سيدي وسندي والعروة الوثقى التي علقت بها يدي الوزير امير الامراء سيدي خير الدين ادام الله اجلاله وحرس كماله اما بعد السلام المديد لحق المقام بالسؤال عن احوالكم لا زالت ان شاء الله طوع ءامالكم ونحن والشكر لله بخير وعافية لا يخصنا الا الاجتماع بكم في اسعد الاوقات على احسن الحالات وقد كاتبناكم قبل هذا بما نرجو وصوله لجنابكم وسرنا مكتوبكم المؤرخ في اواسط رجب لا سيما ما في طرته بخطكم حيث قلتم ان ظاهر الامور على ما يسر مولانا ويرضيه وفرحنا بذلك كثيرا واخبركم ان امير الامراء سيدي علي باي سافر بالمحلة يوم الخميس في١٧ رجب في مشهد عظيم وموكب فخيم والسيد رستم بمحلته الى وطن الكاف ونواجع ونيفة وان الشقي علي بن غذاهم نكث الامان وجمع شرذمة من الاوغاد اغار بهم على محلة السيد رستم عند رحولها فردهم الله على اعقابهم وشتت المدفع شملهم ومات منهم نحو الاربعين ونجى ابن غذاهم براس طمرة ولجام وخفي موضعه وقطعت نيته وكفى الله المؤمنين القتال والسيد احمد زروق لم يزل بالساحل واسركم ان اخباركم بتونس تعطر الارجاء وتقوي الرجاء والله ولي اعانتكم وهو المسئول ان يجمعنا بكم في اسعد الاوقات والسلام من كاتبها على جناح عجل احمد بن ابي الضياف ( وبطرته ) ومات من محلة السيد رستم نفر واحد فقط والظاهر ان محلة الباي تقصد اعراب ونيفة الآن والسلام

« ٨ »

## مقتبس من مكتوب صادر من الوزير الاكبر مصطفى خزندار

بتاريخ الثامن والعشرين من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله وصلى على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم

الهمام المفخم امير الامراء الوزير السيد خير الدين حرسه الله تعلى السلام عليكم وبعد فان

كتابيكم المؤرخين في ١٥ شهر التاريخ بلغا الينا وعلمناهما ويوم التاريخ اجبناكم عنهما بمكتوبين مؤرخين بالتاريخ حاصلهما ان مولانا دام عزه وعلاه علم مقابلتكم للجناب الفخيم السلطاني وللوزراء واستحسن ايده الله تعلى الطريق الذي سلكتموه وسر ايده الله تعلى بحسن المقابلة التي ذكرتموها ...... ( لا حاجة لنا هنا ببقية المكتوب )

« ٩ »

## نص الجواب الصادر من المولى الصادق باي

الى الصدر الاعظم المشير السيد محمد فؤاد باشا مؤرخ في ذي القعدة سنة ١٢٨١

الحمد لله — اما بعد التحية المناسبة لرتبتكم العلية وفخامتكم التي هي عن الشرح غنية فانه بلغ لمعظم قدركم العالي الكتاب العظيم الوفادة الكثير الافادة المتضمن لبيان الخير وطرق السعادة فانشرح لمرءاه فؤادي ورايته من اثار صدق نيتي المؤسسة على صدق نية ءاباءي واجدادي وتعرفت منه ما ملأ العين احسانا والقلب استحسانا وافاض المسرة سرا واعلانا وحسبته من نتائج عمري والايات الدالة بفضل السلطنة العلية على فخري حيث تضمن رضى السلطنة العلية على العبد الفقير واحله بالثناء على سيرته المحل الاثير وافاده تقرير عاداته المعروفة المقررة المالوفة وشرح لنا الهمام المفخم الوزير امير الامراء ابننا خير الدين ما شاهده من الاعتناء الذي جنابكم اهله ومكانتكم العالية محله مع ما اتصل بذلك من الالتفات اليه من حضرة سلطنة الاسلام العلية وتشريفها له بما هو معهود من مكارمها السنية عنايات سلطانية جارية على ما نعهده نحن وءاباؤنا من الخلافة العلية والفخامة العثمانية اذ لم تزل ءاثارها متواردة والالسن والقلوب على معرفة قدرها متعاضدة فقد شاهدنا عيانا ءاثار مرضاتها التي افصح بها الكتاب الكريم المتلقى بالاجلال والتكريم لانا لا نشك في ان ذلك اصل الاسباب التي اعانت على رفع ما عرض من التخيير في الوقت القليل بالعمل اليسير واعتناؤها الرفيع العالي واعانتها المدعمة للسابق بالتالي وعنايتها بالعبد الفقير حيث تفضلت على وزيره الاكبر بنيشان الافتخار المرموق بعين الاجلال في سائر الاقطار التي تتوجه اليه الاطماع وتفتخر به الاشخاص والبقاع اذ من المقرر المعلوم المسموع ان العناية بالتابع عناية بالمتبوع خلد الله تعلى لهذه الخلافة الاسلامية سلطانها وبصرها للخير ولعانها وعمر بما يرضيها ازمانها وجعل التاييدات الالاهية اعوانها ولا غرابة في اعتناء سلطنة الاسلام الحامية للانام بما يعود عليهم بصلاح الامور ورعاية حال الخاصة والجمهور اذ ظهور الفضل من موضعه عادة مالوفة واشراق النور من مطلعه سنة معروفة وما هذا باول اعتناء تعرفناه وتعودنا به والفناه فطالما تواردت علينا من السلطنة العلية النعم وتناسقت وتبارت الافكار في معرفة مقاديرها وتسابقت نعم يقصر عن اداء شكرها لساني ولذلك اوكلت الجزاء عليها لمن يعلم سري واعلاني غير اني اجعلها ملهج لساني ونصب عياني ونرجو ان لا تزال متواردة الامداد على ممر الاماد غير منحصرة بعد ولا منتهية الى حد واني على يقين من أن جنابكم العالي من اعظم اسباب هاته النعم التي يقصر عن بيان قدرها لسان القلم اذ باب السلطنة هو الوزير وذلك هو المقطوع به عن كمالكم الشهير ومقامكم الكبير وان لساني يردد شكر مزاياكم المتكاثرة ومحامدكم المتواترة فلا زالت كمالاتكم واضحة الاشراق وسياستكم زينة

# تهنئة الامير احمد

## الملك المعظم

## بمولد الرسول احمد صلى الله عليه وسلم

يا مولد شرفت بـه عدنـان وتعطرت بأريجه الاكـوان
بشرى لنا بوجـوده ووروده سرت بها الاجفان والآذان
بمحمد سر الوجـود ونـوره صلى عليه الخالـق الرحمن
إرسالـه والفـضـل لله بـه للعالمين هداية وأمان
في عام مولده وقاية مكـة والفيل عنهـا رد والحبشان
فهم وبيت حجيجهم حاقت بهم بين الانام مهانة وهوان (١)
بركـاته درت بهـا لحليمـة ولام معبد في العجاف لبان (٢)
ويرى بليل ما يرى بنهـاره وسيان خلف والوراء عيان
وإذا غـفا والنوم من طبع الحيا ففؤاده حال الكرى يقظان

---

الافاق ومما ننهيه الى جنابكم الرفيع انه عند ما يقتضي الحال الذي لا يمكن بمقتضى ما يعلمه جنابكم الرفيع ترك الالتفات اليه بحال طلب ما عرفنا جنابكم العـالي بان الاذن العلي السلطاني ادام الله تعلى تاييده صدر به نطلب ان تشرفنا باصداره والمرغوب من همتكم العاية ومكانتكم السنية انهـاء حمدنا وشكرنا للاعتاب السلطانية على ما املناه من اعتنائها واعانتها ووجدناه على نحو ما تعودنا به وعهـدناه ودعائنـا لها بالامداد وطول الاماد ومثـابرتنا على ما تقرر بوزارتكم التي تقرب الصعاب وتدنيهـا وتغرس اصول السياسة وتجنيهـا وهو جلب مرضاة سلطنة الاسلام وعصمة الانام ومحافظتنا على اعتبار منتها الجسام والدعاء لها بدوام العز وحماية الاسلام ودمتم ...

( يتبع ) محمد الصالح مزالي

---

(١) بيت عبادة الحبشة في اليمن اراد الاحباش جعلها حجا عوض مكة ودعوا اليها الناس فقعـد فيها عربي نكاية بهم وذلك ما حملهم على هدم مكة واستصحاب الفيل لها

(٢) حليمة السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم وأم معبد امرأة مترجلة تطعم وتسقي المسافرين بين مكة والمدينة طلب منها صلى الله عليه وسلم عند هجرته بيع ما يقتاتون به فاعتذرت بفقـد ذلـك فمسح بيده الشريفة على ضرع شاة هزيلة هناك فدرت وحلبها ثلاثا حتى روي الجميع وترك منه لابي معبد المتغيب في رعي الشياه

لولاه ما عبد الآله حقيقة     بل ما درى الانسان ما الايمان
لما دعا الاقوام للدين السوي     لباه شكرا أنسهم والجان
أتباعه سعدت به دنياهم     ولهم بأخرى الفوز والغفران
يحظى ويرضى مادح لمحمد     من فيضه ومؤمل ظمئان
مدح النبيء جزاؤه لمحبه     ولتابعيه الروح والرضوان
شكرا لخالقنا ببعث محمد     وبما أشار بفتحه عثمان (١)
ساوت شريعة أحمد بين الورى     فسعت لها الاجناس والالوان (٢)
والنافرون من الهدى نفد القضا     فيهم وحال الاغبياء الكفران
فالخلق خمسهم هدوا وسواهم     لو بشروا فهديهم إمكان (٣)

❀ ❀ ❀

ميلاد أحمد ياء (١٢) شهر ربيعه     وسما به في كافه (٢٠) نيسان (٤)
فالشمس ترسم عيده بشهورها     حتى يكون لها بذاك شان
والعام والايام من شمس الضيا     لما لكوكب أرضنا الدوران
والبدر يكمل كل شهر دورة     وجميعها عام له حسبان
لو أنصف الحساب مولد أحمد     جعلوه في (١٢) ياء الشهور وزانوا (٥)
والشمس قدر عامها وفصولها     ومواسم والسعد والدبران
لكنهم عشرين افريل نسوا     والمرء آفة علمه النسيان
ان الذي لم يرع في اعماله     هذا وذاك حسابه نقصان
فصيامنا وزكاتنا ووقوفنا     حجا لها من شمسنا ازمان
والشمس قد خصت بها صلواتنا     ومن التخصص يظهر البرهان

---

(١) سيدنا عثمان ابن عفان الخليفة الثالث أرسل أخاه من الرضاع عبد الله بن ابي سرح لفتح افريقية عام ٢٧ هـ ولولاه لكانت افريقية الآن مجوسية همجية

(٢) ليس في الاسلام فرق بين العربي والعجمي والابيض والاسود على خلاف ما عرفت به بعض الدول الراقية في التمدن حتى إن الاسود لا يجالسهم ولا يساويهم الى غير ذلك من النعرة الجنسية والنسبية

(٣) المسلمون ثلاثمائة مليون والعالم البشري خمسة عشر مائة مليون

(٤) مولده صلى الله عليه وسلم بالحساب الشمسي في أفريل ٢٠ من عام الفيل

(٥) لما كان القمر في كل شهر يطوف بالارض مرة فمن الصواب انه كلما بلغ الحساب ١٢ يوما من كل شهر يكون ذلك اليوم ذكرى لميلاده صلى الله عليه وسلم

لمحمد خير الفصول ربيعها ... وإليه في خير البقاع مكان (١)
إن الربيع إذا الزهور تعطرت ... ومتى يحين النخل والرمان
فبطيبه كانت ولادته وفي ... جني الثمار بطيبة الهجران
بهلال شهر ربيع ترحاله ... وقبا بثامنه له الاتيان (٢)
حلت عدالة احمد بقبا كما ... في الاعتدال الشمس والميزان (٣)
في يوم طيب (٢١) واعتدال خريفه ... بنا المصلى للهدى اعلان
صلى برانوناء اول جمعة ... بطريقه وخطابه رنان (٤)
بلغ المدينة يوم ثاني عشرة ... فشدت به النسوان والصبيان
فيها القرار لناقة مأمورة ... يا حبذا الانصار والضيفان
فسراة يثرب بايعوا لنجاته ... وجفاة مكة كيدهم خذلان
لا يستوي غمر يهم بقتله ... وموفق بلقائه نشوان
في مكة تجري الشعائر خفية ... وصلاة يثرب جهرة وأذان

❀ ❀ ❀

ذي هجرة قد وافقت ميلاده ... شهرا وعدا فالوفاق يصان
إن المحرم مثله يناير ... رسمته غرة عامها الاذهان (٥)
فطليعة الايام منه عدادها ... ضمن المواسم امرها استحسان
والاشعري ورئيسه لم يدريا ... هل قام بل او قد مضى شعبان (٦)

---

(١) ميلاده وبلوغه للمدينة مهاجرا صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع ١ وبالحساب الشمسي ميلاده في ربيع الازهار الشمسي أي في ٢٠ افريل وهجرته في ربيع الثمار أي في سبتمبر والاعتدال الخريفي وكانت العرب تسمي الخريف ربيعا

(٢) سافر صلى الله عليه وسلم من غار ثور بمكة يوم الاثنين غرة ربيع الاول وحل في قبا ثامنه وبنى من الغد ٢١ سبتمبر مسجد التقوى والشمس قد حلت ببرج الميزان وهو الاعتدال الخريفي

(٣) من الاتفاق الحسن ان حلول نوره وعدالته صلى الله عليه وسلم في قبا وبناءه اول مسجد في الاسلام كان في زمن الاعتدال وحلول الشمس ببرج الميزان

(٤) رانوناء كعاشوراء صلى في مسجدها صلى الله عليه وسلم الجمعة في طريقه بين قبا والمدينة ولما بلغ المدينة تلقته النساء والصبيان وكانت على السطوح المخدرات ينشدن طلع البدر علينا . . . . الخ الابيات الثلاثة

(٥) اول العام المسيحي يناير والميلاد قبله بسبعة أيام اي في ٢٥ ديسمبر . كما ان الهجرة في ربيع الاول وابتداء الحساب من المحرم غرة العام العربي اي قبلها بشهرين وايام . فاول العامين موسم عرفي ( والهجرة والميلاد الحقيقيان موسمان دينيان )

(٦) توقف سيدنا عمر في شعبان برسم وقال هل هو الماضي او القابل وخاطبه عامله ابو موسى الاشعري في كون الكتب التي ترد اليه لا يدرى منها عام الشهر الذي بها ( شعبان )

فتشاوروا والهرمزان مقاله ... في ضبط أحوال الزمان بيان (١)

وأشار في حرب المدينة قبله ... بالحفر رابع هجرة سلمان

جعلوا المحرم للحساب بداية ... من هجرة كانت هي الفرقان (٢)

فتأسس التاريخ سابع عشرة ... والفضل للفاروق والاذعان

عدد بهي (١٧) جاء عد أميرنا ... من ءاله بهما الورى جذلان

نعم الملوك السالفون وانما ... مرعى ولكن فاقه السعدان

❀ ❀ ❀

يا مولدان تجمعا في شهرنا ... لكما مديح المصطفى إمعان (٣)

هذان عيدان ورؤية أحمد ... ورضاه عيد ثالث هتان

فثلاثة الاعياد عام حظوظنا ... ولكل أمر مقتض وأوان

فإلى التعلق بالرسول قلوبنا ... وإلى المديح لساننا وبنان

وإلى الامير ثناؤنا من عطفه ... والحي يملك حسه الاحسان

❀ ❀ ❀

بالمولد الاسنى حراسة تونس ... لا يستبيح بها العباد فلان (٤)

أيظن ذاك الشخص ان بلادنا ... وحماتها الاحباش والالبان

كلا سيلقى من دفاع رجالنا ... ما في القديم تجرع الاسبان

ما كل أحمد ملك زوغو ولا ... ساوى شيوخ ملوكنا الشبان

خابت مطامع من يحارب تونسا ... هب أن ناصره الزعيم هيان

ان السيادة لا تكون لغيرنا ... وبنا انمحى الفندال والرومان (٥)

فالنابتون بارض تونس سادة ... وهم على طول المدى السكان

---

(١) جمع سيدنا عمر الصحابة لما يضبط به الوقت فشرح الهرمزان الفارسي طريقة التاريخ عندهم واهل فارس لهم حضارة عريقة وتقدم في نظام الحياة ـ كما اشار سلمان الفارسي عام الاحزاب بحفر الخندق حول المدينة سنة اربع

(٢) عمل سيدنا عمر برأي سيدنا علي كرم الله وجهه وجعل الهجرة مبدأ التاريخ الاسلامي واعتبر الحساب من المحرم مبدأ الشهور القمرية عند العرب

(٣) عشرون افريل صادفت غرة ربيع الاول في هذا العام فاجتمع الميلادان الشمسي والقمري في شهر ربيع الاول وفي العام القابل ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م يكون الميلادان في يوم واحد

(٤) في المولد الشريف زالت المخاوف من الهجوم المتوقع على المملكة من الجنوب — والاسبان خرجوا من شواطيء تونس ٩٨١

(٥) الرومان أجداد الطليان انقرضوا من افريقية سنة ٤٣٤ وزال الفندال اجداد الالمان منها ٥٣٣

جنس عزيز لا تلين قناته وحروبه للمعتدين عوان
فقضى من الآلاف خمسا رابضا والناس ناس والزمان زمان (١)
هذا من التاريخ ما علموا به ولقد محى ما قبله الطوفان

❁ ❁ ❁

ابناء حام مازجوا افريقشا في قطرنا فتزايد العمران (٢)
حتى تجدد من عتيق تراثهم لما أتى لفتوحهم حسان (٣)
وتتابع الولاة بعد جهاده نعم الشعار العزم والقرءان
خضعت الى الخلفاء افريقية وتمهدت بملوكها الاركان
فالاغلبي متغلب ولبأسه والاه هرون وشارلمان (٤)
وزيادة الله الجري لفتوحه أسد البحار العالم الطعان (٥)
ولآل فاطمة منابر طنجة والقيروان والحقت أسوان (٦)
فبمصر عاصمة بناها جوهر ونما بها في الازهر العرفان
وتلتهم صنهاجة ومعزها لكن أذل جيوشه العربان (٧)
لبس السواد وظن بغداد الدوا بينا العليل فراشه زغوان
اين العراق من المعز وصبرة ومؤمل نصر البعيد يهان
قد غره شرخ الشباب وملكه وعلومه وجنوده السودان
واذا بنو حفص تطول مدتهم فبدولة الاتراك جآء سنان (٨)

---

(١) من الطوفان الى الآن ٥٣٣٢

(٢) امتزاج العرب ابناء سام بالبربر ابناء حام

(٣) حسان ابن النعمان فاتح قرطاجنة قدم افريقية عام ٧٨

(٤) الاغالبة من ١٨٤ — ٢٩٦

(٥) زيادة الله باني جامع القيروان على الحالة الراهنة غزا صقلية عام ٢١٢ وامير الجيش اسد ابن الفراة قاضي القيروان

(٦) الفاطميون بافريقية من ٢٩٦ — ٣٦١ وفتحوا مصر ٣٥٨ واسسوا القاهرة والازهر

(٧) الصنهاجيون بافريقية من ٣٦١ — ٥٥٥ غلبه العرب الهلاليون على المملكة في اواسط القرن الخامس وعاثوا فيها فسادا سلطتهم عليه مصر لما قطع الدعآء للفاطميين اوليآء نعمته ودعا للعباسيين ولبس هو ورجال دولته الثياب السود التي هي شعار العباسيين الذين عجزوا عن افريقية واسلموها لجد الاغالبة اواخر المائة الثانية فكيف وهم في اواسط القرن الرابع على اضعف حالة والفاطميون يلتهمون ممالك دولتهم من اطرافها

(٨) الحفصيون ٦٠٣ — ٩٨١ والمراديون من عام ١٠٢٢ — ١١١٣ والحسينيون من عام ١١١٧ وابو كمال كنية الامير الجليل

وبنو مراد فخرهم حمودة | والى الحسين وفرعه التيجان

❁ ❁ ❁

فأبو كمال في السداد مقوقس | والعدل قيصر والابا ساسان
ووزيره سبط الرسول محمد | هاد به ملك الامير يزان
وبعصره شيخا الشريعة طاهر | فكمالك ومحمد نعمان (١)
بهما علا صرح العلوم بتونس | والفضل والانصاف والديوان
بهما يفاخر باينا لمغارب | ومشارق مهمى يسن رهان
فالباي احمد تونس جمعت به | ما لم يحز منه القليل مكان
فربيعه مرناق في قصر الهنا | وكفى بروض حفه مليان
لنسيمه وشميمه ورياضه | وحياضه لبس الحيا عمدان
واذا ترى المرسى وقصر أميرها | فتقول ما كسرى وما الايوان
فاق الملوك السالفين شهامة | وهم ثمان عدهم وثمان
ساووا بحور الشعر وهي جميعها | (١٦)مشحونةبمديحهاالاوزان(٢)

❁ ❁ ❁

والشعر تاريخ ومرءاة بها | صور الثنآء وما يذم تبان
عرفت مكانته الملوك فقربوا | أربابه وحباهم الاعيان
فعلا به كعب لكعب واجتنى | كرم النبي وزميله حسان
درر لشاعر ورغة في جدكم | جاءت لكم بمثيلها ورتان
فهم الحماة لجدكم في كافه | بحياته ولديهم الجثمان
شب الحسين على الشجاعة والندى | من بين اخوال هم الفرسان
واخلاصهم ارث لكم من جدكم | وهم لك الاجداد والاعوان
لي في مزايا احمد وجدوده | كتب وفي امداحه ديوان
والشعر غصت بحوره فنفيسها | في تاج أحمد باينا جمان
من مثل أحمد في الملوك سياسة | علمت بها طهران والافغان
او شابه الهادي الوزير مكارما | قرت بذا السفرآء والاقران
والناس نبت فيه عطر فائح | أو سكر وبثاخر قطران
وكذا الملوك غضنفر كأميرنا | او شذقم او لادغ ثعبان
وزرآؤهم فالاخوة الهادي وفا | والجود جعفر والغنا هامان
إن المواسم كالولاة مراتب | ومحمد ميلاده سلطان
فاهنأ بمولد أحمد يا أحمد | وبكم يزان ربيع والنيسان

محمد المقداد الورتتاني

(١) شيخا الاسلام العلمان سيدي محمد ابن يوسف للمذهب الحنفي وسيدي محمد الطاهر ابن عاشور للمذهب المالكي

(٢) عدد الامراء الحسينيين ستة عشر اميرا

# اصلاح اغلاط مطبعية في الجزء الثالث

| صحيفة | سطر | خطا | صواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ٩٦ | ٦ | افخرج | فخرج |
| » | ٢٧ | معالي | معاني |
| ٩٧ | ٣ | دار سلام | دار اسلام |
| » | ١٢ | المشتركين | المشركين |
| » | ١٦ | طوره الاشد | طور الاشد |
| » | ١٨ | والقضاء | والقضاة |
| » | ٢٠ | الزوج | الزواج |
| » | ٢٢ | بين | فيها |
| » | ٣٣ | الاوراك | الاوارك |



## ديوان الورغي

في العدد المقبل ننشر القطعة الاولى من ديوان الشيخ الورغي ان شاء الله فنلفت اليه الانظار وسنتابع نشره الى التمام نسال الله الاعانة والتوفيق